كبرياء

مجموعة قصصية

نجلاء محفوظ

دار العلوم
للنشر والتوزيع

كبرياء (مجموعة قصصية)
المؤلفة : نجلاء محفوظ
الطبعة الأولى : يناير ٢٠١٩
التنسيق الداخلي : رفعت حسن سيد
دار العلوم للنشر والتوزيع
ص . ب : ٢٠٢ محمد فريد ١١٥١٨
هاتف : ٠١١٤٤٧٦٤٠٠٠ـ٠١٠٦١١٦٠٩٨٨
الموقع الإلكتروني : www.dareloloom.com
البريد الإلكتروني : daralaloom@Hotmail.com
صفحات التواصل الاجتماعي :
Facebook.com/Dareloloom
Twitter : @Dareloloom
جميع الحقوق محفوظة . . .
رقم الإيداع : ٢٠١٨/٢٧١٨٥
الترقيم الدولي : ٩٧٨ـ٩٧٧ـ٣٨٠ـ٥٩٩ـ٩

دار العلوم للنشر والتوزيع

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي دار العلوم للنشر والتوزيع

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر .

إهداء

إلى كل من يحب ثواني عمره وسنواته؛ يسعى بدمائـه وخلايـاه لتوسـيع مساحات النور، ويجعل عمره مصدرا للنجاحات والبراح، "وطـاردا" لغبارات البشر وحماقات وضيق الواقع..

ويهدي البسمات لكل المخلوقات، ويمد يده بود واحـترام لمـن "يحـب" توسيع حياته..

نـجلاء محفوظ

سريعا

تحسس الصبي شاربه الوليد . . تنفس الرضا والزهو . . تمنى لو كان أكثر كثافة وأسرع نمواً .

حلم بأن يلفت الأنظار إلى "خلاصه" من الطفوله "وانضمامه" للرجال . . كره التعليقات "الممجوجة" الساخرة من شاربه وتغير صوته . . ودّ لو ابتلعتهم مستنقعات العالم ثم تلقيهم في الجحيم إلى الأبد .

يجلس مع الأهل والمعارف . . يتصنع الهدوء والرزانة . . يقلل من المرح ، ويتقن التعليقات المجاملة . . يتوق أحيانا "ويتمزق" حنينا إلى لعب الطفولة .

يستسلم حينا أمام الناس ويشارك "الصغار" ببعض اللهو ، ثم يعود سريعا لرزانة تناسب الشارب الوليد .

* * * * *

أسرة

أخذ الطفل المال من والده . . طار ليشتري حلواه المفضلة . . تسارعت ضربات قلبه . . تساءل : هل سأجده "وأفرح" أم سأحزن وقد أبكي؟

اشترى الحلوى . . فض غلافها بلهفة وخوف . . لم يجد "كوبونا" يبشره أن له هدية .

عاد باكيا . . سأله والده عن سبب البكاء . . انتحب بشدة . . ظن الأب أن صغيره تعرض لمكروه . . هز رأسه نافيا وأخبره بما حدث .

ضحك الأب ثم وبخ ابنه قائلا : كيف لا تفرح بمذاق حلواك وتتوقف عن طلب وانتظار "إضافات" وتحرم نفسك؟ يالك من هاوٍ للنكد .

تدخلت الأم التي كانت تتابعهما .

ردت بضحكات عالية .

قالت بسخرية "تعمدت" إظهارها : يالك من رجل حكيم "تجيد" صنع البهجة لنفسك ولمن "ألقتهم" أقدارهم للعيش معك .

تلقف الأب كلماتها ورد بهدوء "يتلذذ" بكل حرف : أتفق معك أنني لا أفرح بنجاحاتي بعملي ولا أفعل مثلك؛ حيث "تتبخترين" زهوا بنفسك؛ رغم ذبول جمالك، وتراجع أنوثتك، ووداعك لرشاقتك و . . و . . و . . و . . .

* * * * *

بحب واحترام

قرأتْ: الناس يتعاملون مع الإنسان الطيب كما يتعاملون مع البقعة الجافة فوق مستنقع حيث يتسارع الجميع للوقوف عليها.

بكت تأثرا..

مرت أعوام..

كرهت طيبتها..

تمنت لو ألقت بمن يستنزفزنها إلى المستنقعات التي "صنعت" من أجلهم.

أعجبتها الفكرة... ابتسمت وهي تتخيل وقوعهم في المستنقع، ومحاولاتهم للخروج منها والأوحال تكسوهم.. تعالت ضحكاتها.

احتضنت نفسها بحب واحترام.. ثم همست: ربما الأفضل "الاكتفاء" بمنعهم.

*****

لم تهتم

كأي بنت حلمت بالزواج، وبأطفال وبحياة "واسعة" وسعيدة.

لأسباب لم تفهمها؛ مضى العمر ولم تتزوج.

حققت نجاحا أسعدها في عملها.. حرصت على توسيع حياتها.. تعلمت بعض الأشغال الفنية اليدوية.. تثق أنها لم تتقنها تماما؛ ولكنها كانت سعيدة بها.

حرصت على تجميل مكان عملها بها.. تعاملت مع المكان الذي تعاقب الكثيرون على إدارته منذ سنوات طوال، وكأنه "بيتها" الثاني.

حرصت على الأناقة، وعلى وضع "مسافات" مع من يحبون "التجاوز" في التعامل من الجنسين.

سعدت بحزمها وبإتقانها لعملها.. فوجئت يوما بقرار نقلها لإدارة أخرى؛ إثر تغيير المدير.

جاء المدير الجديد بفريقه كاملًا.. حزنت كما لم تحزن من قبل.. أحست بشعور الشجرة "المعمرة" عند اقتلاعها من جذورها عنوة.. أخفت مشاعرها.. تدثرت بكبريائها.

ابتسمت.. تمنت الخير للوافدين.

حرضها بعض من تعرفهم على أخذ إنتاجها الفني من المكان..

قالوا: لا يستحقونه.

كادت ترضخ . .

نظرت للمرآة .

رأت التجاعيد فجأة . .

قررت بحزمها المعهود : سأتركه .

همست لنفسها : هو بعض عمري . . لن أغادر " كليًا " بيتي .

ارتاحت . . بدأت الاستعداد لصنع أعمال فنية " جديدة " لمكانها الجديد . . ابتسمت . . أحست بالتجاعيد تتراجع . . لم تهتم بالنظر للمرآة .

*****

غـل

تنفس الزيف . . صار جزءاً منه . . امتـزج بدمائـه . . اعتـز بـه . . يـراه ذكاءً . . ينتفض غضبًا كلما رأى إنسانا "حقيقيا" .

يبذل الجهد بأقصى طاقاته لطرد "ما" ينتج عن رؤيته بحياته .

تمر الأعوام وتتناقص رؤيته لإنسان "حقيقيي" ولا يفرح إلا قليلا .

ينتظر "بغل" انتهاءهم من الكون ولا يرضى بغير ذلك بديلًا .

* * * * *

وكأنه

سكنه الوجع لسنوات طوال من سخرية الناس منه لتلعثمه في الكـلام . . طلب العلاج كثيرا دون جدوى .

تغلب أخيرا على التلعثم . . صار يتكلم مع من يعرفـه ومـن لا يعرفـه ؛ وكأنه يؤكد "لنفسه" : لقد ولّى عصر التلعثم .

كرس بقية حياته للسخرية "بفجور" من كل مـن لا يـتكلم بوضـوح أو يتأخر "ثانية" في مواصلة كلامه .

* * * * *

وجع

اختلف الشابان كعادتهما؛ تشاجرا بحدة وتبادلا الكلام القاسي بسخف. . تدخل الأب وفك الاشتباك.

انفرد بأحدهما. . قال محاولا تهدئته: ألا تلاحظ أن أغلب مضايقات شقيقك لك ولي لا يعنيها ولا يهدف منها إيلامنا؟ بل لضعفه ولاستسلامه للهروب من المسؤوليات، ولربطه بينها وبين التعب، وليس كما نراها نحن دليلا على النضج والرجولة.

لن نسمح له بالتمادي بالطبع؛ لكنا لن "نقتل" أنفسنا كمدا لتكراره نفس الأخطاء لسنوات طوال، ألن نصبح أغبياء إذا تضايقنا؟ فلنجبره على ما نريد بلا ذرة ضيق.

ابتسم الأب. . شاركه الابن الابتسامة. . نام الابن راضيا.

تنفس الأب الوجع؛ فلم يعجبه ما قاله عن الابن السيئ رغم صحته.

* * * * *

توقن

"يا حبايبي يا غايبين . . واحشني يا غاليين . . لو أغمض وأفتح . . وألاقيكم جايين جايين يا حبايبي" .

سمعتها الصبية أول مرة؛ كان فريد الأطرش يغنيها بعذوبة ورقة، تجاوبت معها، ثم "هربت" من الحزن وعلا صوتها وهي تغني هذا المقطع ثم تضيف بعد "وأغمض" هكذا هكذا وهي تغمض عينيها بمرح .

مضت بها الحياة . . تقاذفتها أمواج الحزن . . تجاوزتها؛ قفزت بعيداً ولم تسمح لها بابتلاع حيويتها . . ذاقت "وجع" رحيل أعز الأحباء . . حافظت على حبها لأغاني فريد الأطرش .

تحب موسيقاه التي تكاد "تنطق" بكلمات الأغاني . . تستمتع بإحساسه . . تنبهر بانتقال صوته من الحزن للفرح بنفس الأغنية .

عندما تستمع صدفة لأغنية "يا حبايبي يا غاليين" تسارع بالهرب بعد الاستماع للمقدمة الموسيقية؛ لم تعد تستطيع ادعاء المرح لأنها "تتوق" بشدة لأن تغمض عينيها وترى أحباءها الراحلين "وتوقن" باستحالة ذلك، وترفض الاستسلام للوجع؛ تمسح دموعها بحنان فلا أحد ـ غيرها ـ سيفعل .

* * * * *

بهجة

بذل مجهوداً متواصلًا لسنوات حتى استطاع إكمال تعليمه الجامعي وهو يعمل بعمل متواضع ليتمكن من إعالة نفسه ومساعدة أسرته.

أخيراً.. احتفل بنجاحه.. فوجئ بصعوبة الانتقال لعمل أفضل بالهيئة نفسها التي عمل بها طويلًا.. بدأ رحلة كفاح جديدة حتى فاز بما أراد.. عرف الفرحة الصافية.

احتضن نفسه بحب واحترام أذاب متاعب السنين.. كلما التقى بمن كانوا يعرفونه بعمله السابق؛ تضاعف إحساسه بالرضا الجميل عن نفسه وانتشرت البهجة بدمائه.

* * * * *

بي وبكم

لا تعرف متى بدأ ولعها، شغفها، حبها، عشقها، شعورها بالتوأمة مع الجبال. .

كل ما توقن به أنها تنتزعها بلطف وحنو ورحمة، وتفهم من انغماسها الزائد بحياتها، وتأخذها لعالم واسع، رحب، أنيق، بديع، شفاف، يفيض نورا. .

كانت حياتها تضيق وتأخذها لمنحدرات سخيفة ترفضها بعقلها، تتشاجر معها بدمائها ولكنها تحاصرها وتجتذبها عنوة وكأنها الرمال الناعمة؛ وكلما اقتربت من ابتلاعها قفزت بعيدا وتوهمت النجاة؛ فإذا بها تباغتها بخسة ونذالة ولا تمنحها الفرصة أبدا لتستجمع كل قواها، فتبادرها فور أي نبت لقواها المنهكة، وكأنها في حرب استنزاف لعينة تود إهلاك الأخضر واليابس بحياتها وجعلهما رمادا خاليا من أي ذرة حياة.

فوجئت وسط تزايد المعارك برحلة تقتحم حياتها، رضخت بامتنان، ذهبت فورا.

في الطريق الطويل جلست بجوار النافذة في الحافلة، ابتسمت للجبال المتناثرة على جانبي الطريق وبامتداد معظمه.

اتسعت ابتسامتها، احتضنتها دماؤها العطشى وخلاياها المنهكة و. . و. . و. . .

كانت تغمض عينيها حينا لتمتص الفرحة بعذوبة ثم تسارع بفتحهما "لتعيش" حبها مع الجبال.

لم تنس التقاط الصور الكثيرة لبعض الجبال، وامتزجت روحها مع تفاصيل أذهلتها لجبال بديعة في درجات اللون وتنويعات الصخور وتقسيمات ونقوشات على الجبال بدا بعضها وكأنها نسيج الدانتيلا.

تعمدت ألا تصور هذه اللقطات، عاشتها بقلبها فهو أفضل حافظ لهذه الجمال.. تجاوبت الجبال مع قلبها، وكيف لا؟ وملايين القلوب تمر بها وأقل القليل الذي يحتضن جمالها.

كانت الجبال "سخية"؛ أخذت قلبها وعينيها وروحها لجولة لتهديها أجمل ما في الجبال المتراصة عبر الطريق الطويل، كانت هي كالنحلة التي تمتص أجمل الرحيق من أحلى الأزهار.

تجول قلبها بين الجبال التي تحولت لسيمفونية تتفاوت نغماتها بين الارتفاع النابض بالحيوية.. والخفوت الناعم الذي يدغدغ الشغف ويزيده بحنو ويحتضنه.. كأم التقت وليدها بعد غياب إجباري لسنوات طوال.

همست الجبال: الشموخ يليق بنا وبك؛ مئات الأعوام لا تنال منا، تزيدنا عوامل التعرية جمالا وتمنحنا ألوانًا أخّاذة وتنويعات في أحجارنا يعجز أفضل نحاتي الكون عن الحلم بها.

ردت: لكني تعبت.

أنصتت للاعتراض: الشموخ يليق بنا وبك، افعلي مثلنا؛ اطردي غباوات البشر وغباراتهم واسمحي للأيام والأعوام بإزاحتها للسفح ولا تمنحيها "قبلة الحياة" للالتصاق بك أبدًا.

هتفت: حاولت ونجحت حينًا وفشلت أحيانًا.

تلقت الرد الحاسم: الشموخ يليق بنا وبك، النجاح ولو لثانية واحدة في طرد هؤلاء يأتي من داخلك "وتمتلكينه" والتراجع تختارينه ويبعدك عنا، والسفح ليس مكانكِ ولن يكون.

هتفت بارتياح "سمحت" له بالسكن بعمرها: الشموخ يليق بي وبكم.

* * * * *

تنبه

لا يتذكر متى بدأ احتضان اللعنة التي صاحبته معظم عمره.. ما إن يتسلم راتبه الشهري إذا بعقله يتنافس كل يوم وكل ليلة في إنهاكه، فيقسم النفقات الضرورية ويصنفها إلى بنود ويتابع يوميًا ما تبقى.. ويرصد المفاجأت غير السارة و.. و.. و...

توقف يومًا "ليكتشف" أن سنوات طوال مرت؛ واجتاز أزمات مادية وواجه صعاب واقترض وسدد ديونه ثم اقترض مجدداً.. تنبه إلى أنه لم يمت بسبب ذلك.. فقط.. سلب "نفسه" متعًا كثيرة.

* * * * *

إدمان

غادر عمله مسرعًا . . صرخ : سأتوقف عن اللهاث المجنـون . . اسـتقل أول طائرة . . ترك حقيبته بالفنـدق . . راح يتجـول بالمدينـة الأحـب إلى قلبه .

استمتع بإحساس السائح الذي افتقده طويلا . . بتلقائية هـاتف صـديقه وزميلة بالعمل . علا صوته بالضحكات وهو يصف إحساسـه بالسـعادة وجمال الأماكن والمناخ المذهل ، وكيف نجـح أخـيراً في انتـزاع نفسـه مـن الغرق في إدمان العمل الذي تمكن منه منذ سنوات . .

احتفل صديقه معه بسعادته . . واصل الكلام وبدأ يتحدث مـع صـديقه عن مشاريعه القادمة عقب عودته للعمل ، وتزايد انفعاله وهو يسرد أدق التفاصيل ويدير "ظهره" للجمال الذي يحيطه من كل جانب .

* * * * *

انتعاش

في المنتجع الصيفي الشهير جلسوا جميعا . . الأبناء يتناولون المثلجات بعد استمتاعهم بالبحر . . يحدق كل واحد منهم بهاتفه المحمول . . الزوجة تتكلم بحماس غريب مع سيدة تعرفت عليها للتو . . الزوج يراقب ما يحدث . .

يتناول كوبًا من الشاي "ممتزجا" بالوحدة وثقل النفقات التي يتكبدها يوميًا . . وما "ينتظره" من مصاريف أخرى بعد العودة .

أدار وجهه فجأة للخلف . . ينظر للمكان الرائع . . تنفس الجمال . . نظر بعيدًا لتتشبث عيناه بدعاية لأحد العصائر تقول : "استمتع بالانتعاش" .

* * * * *

حب

فرح الكلب بسيارة وقفت جوار الحديقة العامة التي يتخذها سكنًا له ؛ كانت روائح الطعام بها كفيلة لطرد شعوره البشع بالجوع . . اقترب ببطء وحذر . .

ألقى من كانوا بالسيارة بعض بقايا الطعام الشهي . . التهمها الكلب في ثوان .

انتظرً المزيد . . فهو ما زال جائعًا جدًا . . تنبه فجأة لقدوم صديقين له اعتادا الجلوس بالحديقة . . قفز بعيدا عن السيارة . . طار إليهما . .

داعبهما كعادته ، تلقى مداعباتهما بابتهاج ، هز ذيله منتعشًا . . ثم عاد ليكمل تناول بقايا الطعام .

حسد

كان ينظر بلا هدف في "فيسبوك" . . لفت نظره فيلمًا مصورًا لنسر يطير وتحته الجبال وأجمل المناظر . . حسده . .

هتف : كيف لا يطير مثلك بعد أن رأيت كل هذا الجمال البديع؟
أضاف بلوعة : ربما كنت دجاجة ثم قادتك "الصدفة" لمكان مرتفع جدا فشاهدت الجمال فانتعشت "داخليا" فتحولت إلى نسر . .

تابع النظر للنسر والحسد يلتهمه . . فوجئ بالنسر يكلمه : وماذا عنك؟ ألم تر يوما وردة . . شجرة . . طفلا يبتسم؟ ألم تضحك يوما؟ ألم تحتضنك فراشات النجاح يوما؟ لماذا انتزعت أجنحتك الداخلية ورضيت بالزحف؟

رد وقد استنهض قواه للدفاع المستميت : لا تدري صغائر البشر وغباواتهم وغباراتهم وحروبهم اللعينة وما يستنزفه من عمري انتزاع نفسي منهم .

ضحك النسر قائلا : "لو" كنت كبيرًا بما يكفي ؛ لتشاغلت عنهم ، لو فكرت أنا بصغار الكائنات لما طرت ثانية .

صرخ : أنت قاس جدا . . حاولت كثيرا ولم ستطع .

جاءه الرد : أدمنت متابعتهم لتشعر أنك أفضل أو لتعذب نفسك ؛ لو أردت بقوة . . لاستطعت .

* * * * *

هتف

زرع قلبه في عقله "شدة" الاحتياج لكلب يحرسه . . اشترى كلبًا غالي الثمن . . بالغ بتدليله بأغلى الأطعمة ؛ منحه أهم مكان بالبيت لينام به ، تسامح مع "تعمده" ترك فضلاته في أي مكان . . كان يزيلها صامتا .

لم يفكر بردعه وترويضه ليقضي حاجته في المكان المخصص . . فوجيء يوما بالكلب يعضه بلا أي مبرر . . استبد به الخوف . . همس لنفسه : أحضرته ليحميني فإذا به يعضني .

نبح الكلب بشدة . .

أسرع إليه متوسلا . .

مرت الأيام . . الكلب يزداد شراسة وصاحبه يتضاعف خضوعه . . ذات يوم سمع أن بعض كلاب الشارع عضت جاره . . سارع إلى الشرفة ؛ هتف للكلاب ، تنفس الفرح الهيستيري .

* * * * *

سلام

رأه قادمًا من بعيد . . انتزع نفسه بسرعة من استغراقه بالتفكير في ما يرفضه ولا يملك تغييره حاليا . . سمح لنفسه بالابتهاج . . الانتعاش . . احتضن الفرحة العارمة .

هتف : الآن سأفعل ما يسعدني لأيام لربما لأشهر قادمة . . سأقترب من هذا الوغد الرخيص . . سيتوهم لغبائه أنني معجب به . . وبدلا من تحيته سأبصق بوجهه .

فزع من فكرة أن بصاقه سيلتصق بوجه هذا المنتهَك والموغل في الرخص . . ربت على نفسه . . سارع بالابتعاد . . استدعي صور من يحترمهم ويحبهم بعقله وقلبه . . ابتسم لهم .

احتضن انتعاشًا عذبًا وشفافاً ؛ أذاب الوجع ونشر السلام بدمائه .

* * * * *

لعله

استعد المسؤول للاجتماع المصيري . . انتبه لكل التفاصيل الصغيرة في مظهره وفي المكان . . أعد كلمة يبهر بها الحضور . . لم ينس القفشات المضحكة والنظرات الغامضة والردود على الأسئلة المفخخة .

تنفس الزهو بنفسه . . سارت الأمور كما يحب . . في اللحظة التي بدأ فيها بتكريم من خضعوا له ؛ إذا بريح نتنة تفاجئه وتخرج بصوت مدوٍ ورائحة لا تطاق . . لم يستوعب ما حدث لثوان . . لاحظ وجوم الحاضرين . . استدار بسرعة . . لصق كفه بأقرب موظف طالته يده . .

صرخ : من سمح لك بالحضور؟ ألم تتعلم كيف تتصرف برقي بحضور الأسياد؟

فوجئ بالموظف يعتذر بشدة، يحاول تقبيل قدمه وسط ذهول الجميع . . نهره ثم طرده .

خرج الموظف منتشيا يكاد يطير فرحا . . هتف لنفسه : كان أمامه رؤسائي وزملائي الأفضل مني ولكنه اختارني وحدي، لن أنسى ذلك أبدًا وسأظل قريبًا منه دوما فلعله يكررها .

* * * * *

احتضان

كلما أحس بأي هم سارع بالاستسلام واحتضنه . . تراكمت الهموم صغيرة وكبيرة . . تشبث بها بكل قواه . . امتصها بدمائه . . تحولت دمائه لهموم .

* * * * *

احتياج

انتظر بتعطش واحتياج فتْح باب الانتخابات بنقابته . . كان أول المتقدمين . . لصق ابتسامته وراح يتجول بها . . لم ينس التقاط الصور الكثيرة لكل من قابلهم .

سارع بوضعها كلها على صفحات التواصل الاجتماعي على الإنترنت . . رآها دليلًا على شعبيته الجارفة . . راهن وتمنى بشدة أن تروج له . . لم يهتم بفلترتها .

كان يبتسم "وحده" في غالبيتها؛ ومن يشاركونه بالصورة غير مبالين، أو يتجهم بعضهم، وآخرون بدوا مكرَهين . . وغيرهم يجاملون . . أو يسخرون .

* * * * *

ينتظر

لم يعرف أبدا متى "قرر" تنفس الشكوى من أي شيء ومن كل شيء.. بدأها مع نفسه ثم مع المقربين وبعد ذلك مع كل من يقابله؛ ولو لقاءً عابرًا بالمواصلات العامة، أو عند انتظار طبيب أو إنهاء معاملة بأي مكان.

كان يركز باختيار كلمات تستدر التعاطف والشفقة.. تراوح ما حصل عليه بين المعقول والفتات.. من وقت لآخر؛ كان يسمع صوتًا يهمس حينًا ويصرخ أحيانًا محذرًا بقصر العمر، سينتهي فجأة، ويحرم للأبد من الاستمتاع بما لديه بالفعل.

تجاهل الصوت كثيرًا؛ صرخ مرات متهما إياه بمخاصمة الرحمة وتعمده التسفيه من معاناته.. شتمه أحيانًا أخرى بألفاظ نابية.

خفت الصوت بمرور الأعوام، وتناقصت زياراته.. جاءت اللحظة التي "تهرب" دوما من الاقتراب من التفكير به..

صرخ: هل سأموت؟ كيف ولم أفرح ولم.. ولم.. ولم؟

رد الصوت الذي خفت: ألم أحذرك مرارًا وتجاهلتني وشتمتني؟

أجاب بعويل وحسرة اهتزت له كل الكائنات، ما عدا البشر الذين غرق معظمهم في التشاحن والشكاوى والتحاسد والاهتمام بالصغائر، والموت يتابعهم وينتظر زيارته لهم بلا أي رغبة حتى برؤيتهم.

* * * * *

الجائع

احتضن الجوع منذ صغره، تنفسه دوما، توغل بدمائه . . لم يكن فقيراً؛ كان جائعًا فقط .

فعل كل ما هو سيئ . . امتزج بالدنايا ليعلو ويُشبع نهمه . . عرف الطريق للشهرة مبكراً، استغل مواهبه المحدودة، ضاعف من تواجده بعلاقاته .

كلما انتزع مكانًا أو مكانة ازداد جوعه للأكثر . . مضى العمر سريعًا . . تنبه لحصوله على الفتات . . انتفض حسرة .

سارع لفعل المزيد والمزيد لتهدئة جوعه الذي يجعله يتآكل تدريجيا ولا يستطيع إيقاف نهايته المحتومة .

* * * * *

بتلقائية

صرخت الصغيرة وهي تشاهد التلفاز . . ذهبت إلى أبيها تطالبه بضرورة منع ما يحدث .

هتفت بانفعال يتزايد : يوجد إعلان يظننا أغبياء ؛ يدعون وجود دواء يشفي من مرض فظيع خلال شهر واحد . . وجدتي تعاني منه منذ أعوام وأجرت جراحات بلا جدوى .

أضافت : كيف يسمحون لهم بذلك؟

رد الأب بتلقائية : ماذا عن غالبية المسؤولين؟ ألا يتعاملون معنا كأغبى الأغبياء ، ألا يظنون أننا لا تفهم ألاعيبهم و . . و . . و . . ؟

ثم تنبه الأب لذهول ابنته ، فسكت ، ثم نظر إليها غاضبًا وصرخ متألمًا : لماذا لا تذاكرين دروسك؟

ردت الصغيرة : أنا في الإجازة يا أبي .

صرخ : ذاكري للعام الدراسي المقبل ولكل الأعوام المقبلة .

* * * * *

فرصة

علِم أن آخر فرصة له للترقي قد تضيع منه . . أقنع نفسه بأنـه "مضـطر" للتخلي عن كبريائه وكل ما تمسّك به طوال عمره .

ذهب لمكتب المسؤول الكبير . . عرف من مدير مكتبه أنه وزع المناصـب الجديدة ولم يتبق إلا منصـب واحـد . . علـى غـير عادتـه ؛ ألح ليقابـل المسؤول ، توسل لمدير مكتبه الذي لم يستوعب ما يراه ويسمعه .

قاطع مدير المكتـب المسـؤول أثنـاء اجتماعـه بـبعض العـاملين ، ورقـة صغيرة ليخبره بأن فلانًا يريد مقابلته . . ويتوسل .

أنهى المسؤول الاجتماع فورًا وسط ذهول الحاضرين ؛ فقد كـان ينـاقش أمورا مهمة ، ونهض لاستقبال طالب المقابلة .

تضاعف ذهول الجميع . . تجاهلهم المسؤول ؛ رحب به . . أجلسه قريبًـا منه على الأريكة الكبيرة ، ولم يجلس كعادته على مكتبه الضخم .

ابتسم قائلا : انتظر سماعك .

تلعثم . . راح يمتدح المسؤول بكلمات كاذبة . . ويقسم بأنه أفضـل ممـن سبقوه و . . و . . و . . .

كان رديئًا في نفاقـه . . "مفضـوحا" كطفـل يرتـدي ملابـس والـده . . شجعه المسؤول على الاسترسال .

بدا سعيداً ومنتشيًا وغير مصدق؛ كرجل أوشك على الهلاك عطشًا وإذا به يجد مياهًا وفواكه وواحة ممتلئة بالزهور ومائدة بها أشهى الأطعمة.

واصل النفاق وحاول تجويده ما استطاع.. أنصت المسؤول باهتمام ثم سأله: بماذا تأمرني؟

أجاب بتزلف ممجوج: لا يجوز لمثلي أن يفكر بذلك.

رد المسؤول بصلف: قل ماذا تريد؟

هتف ملتاعًا: أريد المنصب الذي تبقى.

قهقه المسؤول بنزق: كنت أعرف ذلك.. وقد منحته لفلان قبل دخولك بساعة.

صرخ الموظف بلوعة: ولماذا تركتني أتكلم؟

رد: وهل أنا غبي لأحرم نفسي من رؤيتك تتعرى كأردأ راقصة تعرٍ بالتاريخ؟

*****

ضحك

عاد من إجازة طويلة لعمله . . فوجئ بتغييرات لم يتوقعها . . التقى صدفة بزميل يحترم نقائه . . أخبره بفزعه من كم الفساد .

ضحك زميله وقال : تغيرت الدنيا كثيراً ، لماذا عدت؟

رد : كان لا بد من العودة ، أنا بأمس الحاجة للكلام معك بأقرب وقت لأستعيد توازني .

أجاب زميله : تعرف رقم هاتفي ، وعندما تريدني ستجدني أدعمك بأفضل مما تحب .

شكره وانصرف .

مرت أسابيع . . التقيا صدفة . .

سأله زميله : لماذا لم تهاتفني؟

رد : كنت مشغولا .

تبادلا حديثًا سريعًا وانصرف كل إلى شأنه .

مرت أسابيع أخرى . . لاحظ زميله أنه تبوأ منصبًا .

ضحك كثيراً .

* * * * *

انتظار

في النادي الشهير جلس بعض السيدات بجوار شجرة كبيرة . . دار الحديث حول الجمال . . تباهت شابة بجمالها ؛ أقسمت أنها لا تستخدم أي مساحيق للجمال وأنها لا تحتاجها .

ردت زوجة وهي تجاهد لكبت الغل : ما زلت صغيرة لم تختبرك الحياة بعد .

هتفت سيدة أخرى بزهو تعمدت إظهاره : الجمال في الصغر ليس ميزة ؛ الرائع فعلًا التمتع بالجمالً عندما تكبرين في السن مثلي .

سمعت طفلة الحوار . . ابتعدت وهي تدمدم غضبًا : مال هؤلاء النسوة؟ ما هذا الحمق والكيد؟ لماذا لم تقل واحدة : كلنا جَميلات والأهم أن نحب الخير للجميع؟

ضحكت الشجرة طويلًا واهتزت أغصانها ؛ ثم هتفت : سننتظرك بعد أعوام .

* * * * *

و....

احتضن متاعبه . . بالغ في مخاوفه . . تشبث "بعناد" بالتقكير في كل ما يضايقه . . توقع تضاعف أوجاعه . . زرع اليقين بأنه لن يتحملها .

تجاهل كل ما لديه . . رفض منح نفسه أي راحة . . وانتظر السعادة .

وهل؟

كان بمنزله وحيداً يجتر غضبه من بعض أولاده ومـن تـأخره في عملـه . . عندما سمع صوت نفير عال ومزعج لسيارة نقل ضخمة . . وجد نفسـه يرد على الصوت بتقليده . . تكرر النفير . . فرد بتجويد التقليد . .

ساد صمت قليلًا . .

ثم عاود صوت النفير . . فقلده بحيوية ضاحكًا باستمتاع . . سمع صـوتًا داخله يهزأ به قائلًا : هل هذا ما تستطيع فعله ردًا علـى هزائمـك اللعينـة بحياتك البائسة؟

ركل الصوت بقدمه ورد بسخرية : أنا يا أحمق لا أعرف الهـزائم ولا زار البؤس حياتي . . ولن أعرفها . . ولن أسمح له بـالتفكير بزيـارتي ، أنـا أريد الأفضل لأولادي ولي .

قهقه الصوت ساخراً : وهـل ستحصـل عليـه بمضـغ الغضـب وابـتلاع الغيظ؟

* * * * *

المدير

استدعى المدير جميع العاملين لاجتماع عاجل . . وضع على وجهه قناع الصرامة . . استدعى كل الصلف من داخله بسهولة ويسر . . وضع أكواما من الملفات على مكتبه ليثبت شدة انشغاله .

بدأ الحديث بأنه لن يتسامح مع أي إهمال وسيعاقب من يتجاوز بأقصى العقاب . . لاحظ إنصات الجميع وتمكُّن التوتر منهم . . فرح ومنع ابتسامة كادت تقفز رغمًا عنه .

سمع صوت هاتف محمول . .

صرخ : لن أرحم من لم يغلق هاتفه .

ساد الذعر بين العاملين . . تواصل رنين الهاتف . . تضاعف صراخ المدير . . ثم تنبه فجأة إلى أن الصوت صادر من هاتفه . .

ببساطة تناوله ورد على الهاتف . . وتابع الاجتماع وواصل التهديدات .

* * * * *

ربما

قضى أغلب عمره بعمله وهو يتعامل مع الجميع بود واحترام . . اكتسب سمعة طيبة . . فوجئ بتغييرات لم يتوقعها في القيادات بعمله . . تقرب بذكاء . . فاز ببعض ما تمنى .

لم تستمر القيادات . . تغيرت . . سعى للتقرب . . نافق . . داهن . . لعن القيادات السابقة . . لم يحصل إلا على الفتات .

واصل المداهنة للجميع ، وجهًا لوجه ، وعلى صفحات التواصل الاجتماعي . . "فربما" يصل أحدهم يومًا للقيادة أو يكون وسيلته للتقرب إليها .

* * * * *

ناعم وجميل

عاشت نسمةً . . تهدي كل من يقترب منها الحنان غير المشروط . . والود غير المحدود والعطاء بحب وصدق .

بحثت وفتشت عن عالم جميل وبشر تطمئن معهم . . لم تجده ؛ وجدت الكثير من أشباه البشر . تسربت أعوامها . . لم تقترب من تحقيق أحلامها . .

لم تتزوج . . لم تحقق ما تمنت بعملها . .

لم يحس بها إلا أقل القليل . .

اكتفوا بعطائها بأنواعه وأشكاله .

خبأت أحزانها في قلبها ورسمت ابتسامة على وجهها . . تمرد جسدها ولم يتحمل . . عرفت المرض . . غالبته حينًا ورحبت به أحيانًا .

ماتت . .

حزن الكثيرون عليها . . كانوا صادقين . . ولم لا؟ فقد اختفت للأبد من كانت تستمع بصبر وحب ، وتدعو وتتابع وتربت عليهم ولا تطلب المقابل ولا تنتظره ، ولا تتوقعه .

فقط من لا يتعدون أصابع اليد الواحدة ممن عرفوها طيلة عمرها الذي اقترب من الستين عاما ، هم الذين حزنوا لأجل ما فاتها في حياتها ودعوا لها بصدق بفرح عذب ، ناعم وجميل بحياتها الحقيقية الدائمة .

* * * * *

ما بقي

لم يكتف الطاووس بمكانته الجميلة عند أقرانه . . سعى للفوز برضا الآخرين ؛ تقرب للغراب وطلب صداقته .

صرخ الغراب : تريد مصادقتي ليرى الجميع أنك الأجمل .

هتف الطاووس : أقسم ؛ لم أفكر بذلك .

رد الغراب : فلتتخلص من أجمل ريشك لأتأكد من ادعاءاتك .

تردد الطاووس . .

ابتعد الغراب . .

خضع الطاووس . .

راقب الخنزير ما حدث . . صرخ بأعلى صوت : أيها الطاووس المتكبر .

رد الطاووس ملتاعًا : لم تقول ذلك؟

واصل الخنزير صراخه : لا تأكل معي القاذورات لأنك ترى نفسك الأفضل ، تبًا لك .

رد الطاووس بانكسار : لا أقصد ولكنني . .

قاطعه الخنزير : هيا اكذب أيها المختال .

هتف الطاووس : لست كذلك وكيف أرضيك؟

رد الخنزير : قاسمني طعامي الآن وإلا . .

سارع الطاووس بتناول طعام الخنزير ولم يدعه يكمل جملته .

سخر الخنزير وشاركه الغراب الاستهزاء من الطاووس . . حاول الطاووس العودة لأقرانه لم يعرفونه لتغير ريشه وسوء رائحته . . عاد ذليلا . . يستجدي الغراب والخنزير ما بقي من عمره .

* * * * *

مؤقتا

تهرب من تقدمها بالعمر . . تتشبث بكل ما يعيدها للشباب . . تضع صورة لها وهي شابة جميلة على "فيسبوك" . .

تكتب عن الحب كثيرا . . تحصد الكثير من الإعجاب . . تفرح مؤقتا . . تلاحقها طلبات للتعارف وأخرى للارتباط العاطفي . .

"تتنفس" الوجع .

* * * * *

بثقة

استمعت الصغيرة لشقيقها وهو يشكو من زميله الذي ضربه بلا سبب . .

شاهدت بالتلفاز قتلى ودماء بنشرات الأخبار .

تأملت وجه جارتهم وهي تحكي بوجع كيف سرق اللصوص بيتها . .

فكرت طويلا . . ثم ذهبت لوالدتها . . هتفت : سأذهب لمن يضربون ويقتلون ويسرقون وأقول لهم هذا خطأ ، وأنكم تتسببون بإيلام غيركم .

احتضنتها الأم وهمست : ولكنهم يعرفون ولا يهتمون . .

صرخت الطفلة . . بكت بصمت . . وفجأة مسحت دموعها بيدها . . ثم قالت بثقة : الويل لهم . . فليتحملوا نتائج جرائمهم . . ولن أتراجع ما حييت .

* * * * *

الحافة

بدأ إدمانه منذ سنوات لا يعرف عددها . . أو لعله يتناسى . . يتوقف فجأة ليرى موقعه بالحياة، يتجاهل نقاط النور المتناثرة ويركز على الجزئيات السوداء . . ثم يسارع بجلد نفسه بقسوة ويتفنن وينجح بضراوة . . وكيف لا؟ وهو يعرف مكامن ضعفه .

يطرح نفسه أرضا . . يتنفس الإنهاك الممتزج بالغضب ومر اللوم لنفسه وحدها . . يختار دومًا تجاهل المعوقات الإجبارية التي لم يخترها ولم ولن يقبل بالأثمان التي يدفعها غيره لتجاوزها .

يتجاهل أن رأسه المرفوع من أهم إنجازاته . . يوقع نفسه في الوجع، يتجرعه كاملا، يحتضنه بإخلاص . . يقترب من حافة الانهيار التام . . يرفض . .

يهتف : من العار الاستسلام لهذه النهاية .

يتراجع بقوة الكبرياء . . يحتضن نفسه داعمًا ومواسيًا . . ينجو من الحافة . . ويظل قريبًا منها . . ويتكرر اقترابه المنهك منها . . ولم يفكر يوما في إنهاء إدمانه والابتعاد أميالًا وأميالًا عنها .

* * * * *

اطمئنان

وقفت اليمامة على فرع الشجرة الجاف . . كان الهواء شديداً والشمس غائبة . . تنفست الاطمئنان . . تشبثت بالفرع . . تمايلت بخفة ولطف مع الهواء . . أحست بالعذوبة تتملكها . .

وكيف لا؟

وقد علمتها الحياة أن الشمس ستشرق حتمًا والهواء سيهدأ ولو بعد حين . . والاخضرار سيعود والثمار ستنمو والأزهار ستنير الكون بألوانها وعبيرها مجدداً .

تضاعف استمتاعها "باللحظة" بلا شروط ودون انتظار .

* * * * *

كبرياء

انتزع نفسه من دواماته اليومية التي أدمنها لسنوات طالت، واستنزفت طاقاته، وسرقت أجزاءً غالية من عمره.. ترك كل شيء وتسكع بالشوارع.

ابتسم للمساحات الواسعة.. استمتع "مؤقتًا" بإحساس تلميذ هرب من المدرسة رغمًا عن أنوف الحراس الغلاظ.. استغرق في مراقبة المارة وقراءة الوجوه.. تنفس بعض الارتياح بعد طول افتقاد.. احتضنه بود جميل.

رد الجميل وتوغل داخله.. ابتسم بكل دمائه وخلاياه.. تنبه التوتر الساكن عمره والملاصق لأنفاسه..

سارع بالصراخ: انظر لهذا الفندق الفخم كيف تحول خلال سنوات قلائل من أكثر الفنادق فخامة وأناقة لمبنى تعلوه الأتربة وتلونه القتامة وتكسوه العتمة..

أضاف بخبث: كأنه يلخص حالك الآن.

تعيش في غير وقتك و.. و.. و...

أحس بالارتياح ينهار والتوتر يسيطر ويتمكن.. كاد يغرق.. انتشله كبرياؤه.

همس : أنت تصنع وقتك ، تزيل الأتربة ، وتزرع ورودك " المتفردة " وتحتضن عطورك ولا تهتم بسواها .

عاد الارتياح محتضنا الكبرياء وانضمت البهجة العذبة .

* * * * *

واختلفتا

اجتمعت أرملة ومطلقة في حوار تناوبتا فيه دوري المتكلمة بصدق والمنصتة بحب . . تنافستا في الود ومحاولات الدعم والسعي لتقليل الوجع . .

علت ضحكاتهما عند اكتشاف أن أبناء الأرملة يشبهون كثيرا الأب الراحل ، مما يسعد الأرملة ، بينما كان أبناء المطلقة نسخة من الأم التي أبهجها أنها لن تضطر لرؤية طليقها في ملامح أولادها .

اختلفتا – فقط ـ حول أيهما أكثر تألمًا ، من فارقت من أحبها وأحبته رغما عنها ، أم من عاشت مع من كرهت تفاصيله "واختارت" الفراق إنقاذًا لما تبقى من عمرها؟

* * * * *

القاع

فـوجئ بـه في المصـعد . . ابتسـم وهلـل مرحبـا . . اسـتقبل ابتسـامته بسعادة . .

تذكر ، لقد تسرع ، ابتسامته كانت لماضـيه الـذي أحببتـه ، أمـا حاضـره المزري فيبخل عليه بالكراهية ويكتفي بلفظه .

زرع وجهه بهاتفه المحمول وادعى الانشغال به . . تركـه يسـبقه بمغـادرة المصعد . . سعد بانتهاء اللقاء . .

أبدى الآخر سعادته باللقاء وتمتم بكلمـات المجاملـة . . رد بمثلـها وهـو يتأمل وجهه . . ود لو وجده نادمًا على وصوله لقاع المستنقع . . لم يجـد ما تمنى . . كان منتشيًا . . استفزه رضاه وسعادته ونرجسيته الطاغية .

هدأ نفسه وهتف : أرايت يومًا خنزيرًا لا يحتفل بتناوله النفايات؟

* * * * *

سلطة

غادر بلده مرغمًا . . هرب من سجن مؤكد . . لم يستوعب كيف يفكر مخلوق في محاكمته؟

ربض سنوات في سلطات واسعة . . منح وحرم، كافأ وعاقب، استمتع وشقي . . نجح في الفرار بأهم ثرواته . . عاش بالمنفى كأغنى الأغنياء . . أحاط نفسه بالمتع . . تنفس الهوان . .

سأله ابنه لماذا؟

رد: الموت أرحم من التحكم فقط بمصير خدمي .

* * * * *

قرار

أعـدت لنفسـها كوبًـا مـن القهـوة . . أدارت التلفـاز . . ابتسـمت . . وجدت فيلمًا لممثلين تحبهم . . تركته يتحرك أمامها على الشاشة . .

أدارت الحاسـب المحمـول . . بـدأت تنظـر في بريـدها الإلكترونـي وصفحتها على "فيسبوك" . . أعدت موسـيقاها المفضـلة . . تناغمـت مع الصوت الخفيض للفيلم على التلفاز . .

همست : أحطت نفسي ببعض ما أحب .

أضافت ورودًا وريحانًـا في مزهريـة صـغيرة . . قـررت الابتسـام داخليًـا ولفظ إدمان الاهتمام بغباوات الآخرين وسخافاتهم المتنامية دومًا .

* * * * *

عقابهم

بحثت الصغيرة عن الفراشات ـ كعادتها ـ عند مغادرتها منزلها . . فتشت جيداً في حديقتها . . لم تجد . .

نظرت بعيداً . . وجدت فراشة تطير نحو حديقة جيرانها . . غضبت . . ضربت الأرض بقدميها ساخطة . .

هتفت : أيتها الفراشة . . ألا تعلمين أنهم قساة يضايقون كل الجيران ولا يرحمون الكلاب الضالة ولا يعرفون كيف يبتسمون و . . و . . و . . ؟

ثم سكتت وهي تجهض دموعها .

ردت الفراشة : أعرف . . وأطمئنك أن أمثالهم لا يرونني ولا يحسون بالجمال . . فهذا عقابهم . . وأطير بعيداً عنك لأفرح بالعودة إليك واحتضن ابتسامتك وقلبك المرحب بي دومًا .

* * * * *

بشدة

أنجز إنجازًا محدودًا . . بالغ كعادته في الحديث عن كل ما يفعله . . جاءت الردود باهتة ما بين المجاملات المعتادة والنفاق الركيك .

أقام احتفالًا صغيرًا بإنجازه . . دعا إليه كل من يعرف . . تعمد اختيار قاعة صغيرة حتى يبدو الحضور كثيرًا .

حضر القليل الذي ملأ القاعة . . أسرف في الاحتفاء بهم . . فور انتهاء الاحتفال سارع لشبكة التواصل على الإنترنت . . وضع صورًا كثيرة للاحتفال . . قدم الشكر والامتنان وبالغ التقدير لمن شاركوه نجاحه . .

تلقى تعليقات مكررة ومعتادة . . فرح . . سمع صوتًا داخله : هل تصدق نفسك وتصدقهم؟

رد : لا ، ولكنني "ـحتاج" ذلك بشدة .

* * * * *

ولا تسمح

شكا للبستاني من اختفاء الزهور من الأشجار الكبيرة.

رد البستاني: سأحضر لها دواء وأمزجه بالماء وأقوم برشه عليها فتزدهر وستفرح بزهوتها.

كاد يهتف: أحتاج أنا أيضًا لجرعات مكثفة من الرش لتنمو أزهاري الداخلية.. بعد طول ذبول مميت.. سكت بصعوبة.

فؤجئ بصوت داخله يهمس بيقين: اغمض عينيك.. ابتسم.. ارخ كتفيك.. اسمح لنفسك ببعض من الرضا عن نفسك.

ردد بهدوء: أحب نفسي وأحترم ذاتي.

ثم..

احتض نفسك بحب واحترام وحنان.. واصل الابتسامة.. انعم بروائح زهورك الخاصة ولا تسمح بأي تناقص.

* * * * *

اللعنة

أصدر المدير العام للشركة قرارات تعسفية نالت الكثيرين بأذى بـالغ . . اتجه أحد العاملين ليسأل موظفًا عن أمر يخصه . . جـاءه الـرد بضـرر لم يتوقعه . . بُهت . . تمتم بكلمات غاضبة . .

لم يتحمل . . صاح : أهذا ما وعدنا به المـدير عنـد توليـه المنصـب؟ ألم يقل إنه سيمنحنا ظروفًا أفضل للعمل؟

ساد الصمت . .

انصرف وهو يهمس بكلمات تُظهـر القهـر ، وإن لم يـتمكن أحـد مـن فهمها . .

هتف الموظـف غاضـبًا : لمـاذ يحملـونني مـا لا طاقـة بـي لـه؟ أنـا أنقـل التعليمات فقط ، هل يجرؤ أحدهم على الـتكلم عنـد المـدير العـام؟ ألا يخافون من الاضهاد والتنكيل؟ أليس معروفًا أن من يتكلم يتعرض لمـا لا يتوقعه أحد من فحش في العقوبات و . . و . . و . . .

ثم سكت فجأة . .

تنبه إلى أنه تكلم . .

صرخ بصوت عالٍ : ألا يعرفون أن ظروف الشركة لا تتحمل!

* * * * *

يكفي

تلقى مكالمة من صديق قديم . . ذكره باتفاقهما السابق على السفر معًا في إجازة للاستجمام . . ابتسم وأبدى ترحيبه . .

تبادلا السؤال عن الأحوال . . فوجئ بالصديق يسرف في الشكوى من كل تفاصيل حياته . . زواجه . . أولاده . . عمله . .

رد بكلمات صادقة للتهدئة . . دعا له بود . . عرض عليه الصديق اللقاء بمنتصف الأسبوع . .

أحس بالانزعاج . . كره مضايقته بالرفض . . وجد الحل في القول إنه سيحاول وسيخبره لاحقا . . أنهى المكالمة بلطف . .

تنهد . .

هتف : لن أذهب بالطبع ، فمن أتعامل معهم يضايقني كثيرون منهم بما يكفي ، ولا أحتاج لإضافات .

* * * * *

اكتفاء

شكت شجيرة مسك الليل للقمر من انصراف الناس عن الاستمتاع بروائحها الناعمة والمنعشة والمبهجة؛ التي تنشرها ليلا لتربت على أوجاع البشر، ولتذيب متاعب النهار، وتمنحهم السكينة والبراح والرضا قبل النوم، ليواجهوا اليوم الجديد بشجاعة وقوة و. . و. . و. . .

استمع القمر بودّ واحترام. . وأرسل إليها نورا خاصًا يربت عليها بعذوبة أراحتها، ومحت أوجاعها من البشر، ثم قال: تذكري. . إنهم لا يروننى إلا نادرًا ويتجاهلون أصحابنا من النجوم الفاتنة.

ذات يوم، سهرت حتى مطلع الشمس، ووجدتها تشكو من تجاهل البشر لجمال أشعتها وانعكاسها على البحار والجبال، وردت الأخيرتان عليها بمر الشكوى من جحود البشر وتعمدهم ازدراء تميزهم بالجمال الفريد، وهو ما شاركهما به الأشجار والأزهار والفراشات و. . و. . و. . .

هتفت مسك الليل: هل نعاقبهم أم نموت كمدا؟

رد القمر: بل نسعد أنفسنا بجمال كل ما نراه ليلا، ونحلم بالجمال الكائن بالنهار ليتنامى الجمال بالكون، ونفرح بأقل القليل من البشر الذين ينتظروننا بحب نستحقه ويستحقونه ونكتفي بهم.

ازداد لمعان النجوم وبريق القمر. . ونشرت مسك الليل روائح فريدة تفيض بالبهجة والعذوبة.

سؤال

ترفض غباوات الواقع وغباراته وسخافاته . . تأبى الاستسلام لتنامي القبح . . تنصت بود وباحترام لكل من يريد صنع حياةً أجمل . . تهديه ما استطاعت من الاحتضان المعنوي والمساندة الواعية . . لا تتركه إلا مبتسما محتضنا الحياة . .

تفرح قليلا جداً . . تغوص مجدداً في أشجانها . . تكره الوجع . . تحاربه حينًا وتهرب منه أيضًا .

داخلها كلام كثير لم تفكر في قوله لأحد . . لم تجد من يستمع في تلميحات خاطفة بلا مقاطعة أو التسرع بإلقاء محاضرات . . تتمنى قلبًا كالياسمين . . جميلًا ولطيفًا وبلا أشواك .

لم تحاول البحث . . أطلقت سراح بعض الدموع . . مسحت رأسها ووجهها . . ربتت على كتفها . . قبلت يدها . . ربتت على وجنتها .

تنهدت . .

رحمت دموعًا أخرى وأنهت حبسها . . انطلقت بعض التنهدات . . تبعتها دموع أخرى . . سمعت أصوات كلاب تنبح بالخارج . .

ابتسمت . . همست : هل تواسيني أم تتألم مثلي؟

* * * * *

أقل القليل

ارتدى البذلة الباهظة الثمن . . أحكم ربط رابطة العنق المميزة . . صفف شعره بعناية فائقة . . جدد إعجابه بحذائه الجديد . .

استدعى أفضل مصور محترف . . وضع يده في جيب بنطاله ، وقف ووراءه مكتبه الفخم . .

استجاب لطلبات المصور ؛ زاوية النظر للكاميرا . . الابتسامة . . إرخاء قسمات وجهه وإظهار الثقة بالنفس .

حصل على الصورة التي تمناها بعد محاولات كثيرة . . سارع بوضعها على صفحات التواصل الاجتماعي . . حصد الإعجاب الهائل .

لاحظ قليلون جدًا الخواء البادي في عينيه . . وكذب الابتسامة . . وزيف ادعاء الثقة بالنفس .

* * * * *

فكر

ذهب ليشتري بعض الأغـراض . . فـوجئ بالبـائع يعاملـه بغلظـة دون مبرر . . تجاهله وتماسك بصعوبة . . سارع بالشراء وانصرف بسرعة .

اكتشف غيظه من البائع يطغى على فرحته بما اشـتراه . . فكـر بالاتصـال بصاحب المحل "ليحميه" من هذا البائع الذي يطرد بسخفه الزبائن . .

أعجبته الفكرة . .

هتف : سأبذل الجهد للتوصل لصاحب المحل .

بعد وصوله لمنزله استراح قليلا . . أحس بالرضـا عـن مشـترواته ؛ فقـد اشتراها بثمن جيد . . فكر . . قرر . .

لن أبحث عن صاحب المحل ، فلا شك أنه "يستحق" هذا البائع .

* * * * *

أولويات

وضعت الطعام لقطها . . كان أكلا يحبه كثيراً . . توجه إليـه مسـرعًا . . ابتسمت .

ارتطمت بشيء أصدر صوتا . . ابتعد القط فوراً عـن الطعـام . . تلفـت حوله بحذر . . انتظر بعض الوقت حتى تأكد أنه لا يوجد أي خطر . .

توجه للطعام بهدوء .

*****

استرخاء

-١

تعرضت لمواقف مؤلمة في عملها . . لم تستوعب كمَّ الغل الذي ظهر في كلام رئيسها لها . . كانت نظراته مزيجًا كريهًا من الغل والكراهية والرغبة العارمة في تحطيمها .

لم تتحمل البقاء . . غادرت المكان . . سمعته يقول : ما زلت أتكلم .

ردت وهي تصفع الباب : اكتفيت .

-٢

أسرعت إلى دوره المياه . . كانت تلهث بشدة . . مدت يديها . . فتحت صنبور المياه . . راحت تضع الماء بغزارة على وجهها عدة مرات . . لم تنس وضعه على رأسها .

أحست باحتياجها لإطفاء نيران الداخل والخارج .

-٣

جاء موعد المواجهة مع الرئيس . . جلست معتدلة الظهر . . وضعت قدميها بثبات على الأرض . . أرخت ملامح وجهها .

منحت كتفيها الاسترخاء . . تعمدت ألا تنظر لوجه رئيسها الغاضب "والمنتفض" غلًّا .

ـ٤

ألقى بتهديدات يثق أنها غير منطقية، ولن يتمكن من تنفيذها، وإن "رغبها" بقوة.

استمعت بهدوء.. تدخلت زميلة تكرهها وتدمن مداهنة الرئيس..

هتفت: بإمكانك الاعتذار وسأتدخل "لأرجوه" بالعفو عنك لأنقذك من مصيرك التعس، فلن ترحمك التحقيقات وستدينك.

ردت بابتسامة: أقدر لكما اهتمامكما بي، وأفضل تقديم شكوى ضدي.

صرخ رئيسها: لم أجلس يومًا أو أتكلم مثلك لا رئيسًا ولا مرؤوسًا.

أخفت ابتسامة كانت ستنير وجهها.. احتضنتها بقلبها.. انصرفت بخطوات هادئة مطمئنة تتنفس الرضا الجميل.

ـ٥

تجاوزت الأزمة..

فازت بالنقل لإدارة أخرى رغمًا عن رئيسها، بعد إثباتها تعنته.

قفزت فرحا.. لم تشمت به.. لم تستوعب لماذا يتفنن البعض في إيذاء من يرفض الرضوخ.

ابتسمت.. لو رضخ الجميع لزادت صعوبة النفاق أمام المنافقين.

ـ٦

مرت أعوام . .

نسيت الموقف . . إذا تذكرته تبتسم . . وأحيانا تضحك بعذوبة .

ـ٧

استيقظت يومًا من نومها متأخرة عن موعدها وهي تحس إرهاقًا سخيفًا .

رغبت بالجلوس بمكانها المفضل على أريكة غرفة المعيشة . . وجدت القط يجلس باسترخاء مكانها ، يضع يديه على وسادة باسترخاء تام . . وقدميه على وسادة أخرى . .

نظر إليها بكسل شديد وعيناه نصف مغمضتين . . ثم أغمضهما باسترخاء استفزها . .

صرخت : هذا مكاني أيها المستفز . .

كررت " يا مستفز " . .

تمطى وهو مغمض العينين وواصل الاسترخاء .

ـ٨

هتفت: لم استرخ عمري مثلك.. ولم أنظر لأحد مثلما فعلت.

ليتني كنت قطة.. تذكرت رئيسها السابق.. ضحكت كثيرا.. دعت له بصدق.

بحثت عن مكان آخر تجلس فيه، حتى "يستكمل" القط استمتاعه بالاسترخاء دون إزعاج.

* * * * *

الخنازير

-١

تساءل خنزير صغير عما يدور خارج الحظيرة . . جاءته الإجابات : لا شيء يهم .

لم يقتنع . . تسلل يومًا . . ابتعد كثيراً . . فوجئ بروائح زهور وريحين تأتيه . . انزعج بشدة . . خاف ثم اقترب بحذر . . كانت الروائح أقوى وأجمل وأكثر وضوحا . .

صرخ : ما هذه الروائح؟

انتفض رعبًا .

هتف : سأموت لو واصلت الاقتراب منها .

عاد بأسرع ما يمكنه للحظيرة . . ركض بأقوى ما أمكنه . . من شدة اضطرابه كان يقع كثيراً وينهض ليواصل الركض غير مبالٍ بالجروح والكدمات التي تصيبه . . وصل الحظيرة أخيراً . .

حكى لهم . .

قالوا له : ألم نقل لك إننا الأفضل . . وإنهم أغبى المخلوقات؟

-٢-

أحس كبير الخنازير باقتراب موته . . تنامت رغبته بالخلاص من خطيئته . . جمعهم وأكد لهم ندمه على استغفالهم طيلة عمره . .

هتف بصدق : أخبرتهم أننا كخنازير أفضل المخلوقات ، وأن روائحنا النتنة لا يوجد ما يضاهيها بالكون ، وأن علينا التباهي بذلك ، وإخراس من يحاول قول ما يخالف ذلك .

وقد تفوقتم " بتنفس " هذه القناعة دومًا ، والحقيقة أنني خدعتكم ، ففي الحياة جمال وعطور ونظافة تمنح السعادة الحقيقية . . وكنت " أتسلل " أحيانا للغابات المجاورة لأمتع نفسي ، ثم أعود لأقنعكم بمزايا القاذورات التي تحتضوننها .

خاصموا النتن . . واذهبوا للحدائق . . واحتضنوا الحياة الحقيقية .

مات كبير الخنازير بعد الجملة الأخيرة " راضيًا " عن نفسه ، تاركًا رعاياه في حيرة وصراعات . .

اتفقوا أخيرا على إرسال وفد منهم للغابات التي حكى عنها . .

ذهبوا والخوف " يسكنهم " . . والتردد يعرقل خطواتهم . . " وكراهية " التغيير تستبد بهم . .

اقتربوا . .

داهمتهم روائح الياسمين والقرنفل والرياحين . . استمعوا لغناء العصافير والبلابل . . في ثوان رغبوا بالطيران . . خجلوا من روائحهم . . كرهوا العودة لحظائرهم .

هتف أحدهم : سنبذل جهوداً خارقة حتى نتخلص من القاذورات . .

رد آخر : صدقت ، وهذا متعب جداً . .

وافقه ثالث ، وأضاف : ومن "يضمن" لنا أنهم سيقبلوننا بعد ذلك؟

أيده رابع هاتفاً : سيتعالون علينا ، وسيعايروننا بماضينا ، وسيظلون الأفضل دوماً .

صرخ الخامس : ولماذا نتكبد كل هذه المخاطرات ، ونفقد مواقعنا كسادة قومنا؟

وافقه الجميع . . عادوا لحظائرهم . . تمرغوا بالقاذورات . . تنفسوها بعمق . . طردوا آثار العطور . . جاءت بقية الخنازير تستفسر . . ردوا بيقين : كان "يخرف" قبل موته .

* * * * *

بقي

قاومت إحساسها بالإرهاق . . غادرت فراشها . . ابتسمت للصباح . . دللت قطها . . تناولت إفطارها . . باغتها الإرهاق بسخف يتنامى . .

تجاهلته . .

في المطبخ . . بينما تعد كوبًا من الشاي نظرت لثمرة فاكهة . . شعرت أنها "تبتسم" لها . . ردت بابتسامة تنفستها خلاياها . .

وكيف لا تفعل؟

وقد أحبها والدها الذي غادر الحياة "وبقي" بقلبها وبثواني وسنوات عمرها منذ ٣٠ عاما و٧ أشهر و٣٢ يوما و١٧ ساعة .

* * * * *

كيف

تابعت القط وهو ينظر للعصافير بالشرفة بحسرة . . تضع طعامًا للعصافير بالشرفة فتأتي بأعداد كثيرة يوميًّا .

كان القط يقف على قدميه ويضع يديه على الزجاج الذي يحول بينه وبين العصافير ، التي تحس بالأمان وتأكل وتطير بحرية . .

راح القط يضرب برجله على الأرض ويهز ذيله ثم يضرب بالرجل الأخرى . . يتعب القط فيبتعد ثم يعاود النظر والضرب والهز . .

فكرت ؛ هل أسعده بالسماح له بالتهام عصفورة؟ إذا خرج فجأة بالشرفة فسيتمكن من التهام واحدة وسيفرح . . غضبت من نفسها . .

كيف سمحت للفكرة بالتسلل لعقلها؟

عبست . . ضربت نفسها بيدها . . يأله من قط مدلل ، يترك طعامه ويبحث عن غير المتاح . . تخيلت القط يقول لها : صدقت ، فالبشر منبع الحكمة " يجيدون " الاستفادة مما بأيديهم ولا يبعثرون أعمارهم . .

تجاهلت ما سمعته وهتفت : غضبت من نفسي لتفكيري بالسماح للقط بالتهام عصفورة ، كيف يعيش من يسعون ويخططون لالتهام أحلام غيرهم وقتلهم معنويًا؟ ولن أفكر في القتل والإيلام مع سبق الإصرار والتعمد . . اكتشفت أن القط غادر مكانه . . ويستمتع بالنوم .

* * * * *

وقد

يراه الكثيرون ناجحًا ومتميزًا . .

يحسده البعض . .

وحده لا يرى ذلك كافيًا . . لأنه قاس على نفسه فقط . . أو لأنه يثق أنـه يستطيع فعل الأفضل والأكثر أهمية . .

أو لأنه يدرك أن أيامه تتناقص والرحيل يقترب . .

وقد يكون لكل ذلك .

* * * * *

تهديد

انتفضت غضبا . . نظرت إليه بحدة . . استجمعت كل ضيقها المتراكم من سخافاته . .

صرخت : لن أسمح لك بالتمادي ، لن تقترب مجددا من أشيائي ، لا تنظر لي هكذا ، لا أقبل بأي اعتراض ، لن تخدعني بادعاء الضعف ، أثق أنك تعني ما تفعله دائما ، لا تحدق بي ثانية . .

سأطردك من حياتي . .

ولن أقبل بأي وساطات من أي مخلوق لتعود .

أحست بالغضب يسيطر عليها . . اكتشفت أنها تلهث من شدة الانفعال . . أضافت بحزم : لن أسمح لك بأي "مواء" أبدًا .

تحرك القط بهدوء . . اقترب منها بحذر . . تمسح بها وكأنه يعتذر . .

تراجعت فورا . . ابتسمت له بحب . . ثم استدركت وهتفت : لن تستغل حبي ثانية . . هذا آخر تهديد . .

استرخى القط سعيدًا وأطلق "مواءً" هادئًا .

* * * * *

مرارة

استيقظ مبكراً كعادته . .

استدعى إحباطاته . .

احتضن غضبه . .

تشبث بمخاوفه . .

بدأ يومه حزينًا كسائر أيامه . .

تسارعت الساعات . .

انتهى يومه . .

نام وهو يتنفس المرارة .

* * * * *

هزائم

برع مبكراً في جذب الانتباه . . فطن لامتلاكه "بعض" المواهب . . ضاعفها بصنع "هالة" حول نفسه . . دعمها بالاقتراب "بحذر" وبذكاء من صانعي القرار . .

داهن بحساب . . تكلم بثقة عن أمور يثق أنهم "لا" يعرفونها . . نجح بامتياز في دفعهم للإحساس بالاحتياج إليه . . نسج خيوطه بمهارة لإحكام سيطرته . .

اتقن تسويق نفسه . .

بالغ بالتأنق دوما . .

حرص على التعامل بلباقة فائقة مع الجميع . . جمع حواريين وخدمًا ومتملقين "ونثرهم" حوله دائمًا . .

ألقى إليهم ببعض الغنائم وفقًا لتفانيهم في الترويج له . . حصد ما لم يتمناه أكبر الأفاقين عبر التاريخ . . تعرض لأزمات وكبوات افترسته داخليًا . . تفنن في إخفاء جزعه منه . .

لصق على وجهه تعابير القوة والاستغناء بينما "داخله" يتأكل . . أجاد التعافي من الهزائم واقتناص الفتات منها وتصويرها بانتصارات لا توصف . . راهن بنجاح على حواريه وخدمه ومتملقيه . .

عاش طويلا . .

جمع المال والجاه والنفوذ . .

دومًا، كان يحس بأنه كلوحة الإعلانات، لا بد أن تكون براقة وجاذبة للانتباه.

تجاهل تعامل المقربين منه بانتهازية فجة . . أقنع نفسه بأنه "الأستاذ" الذي لا يقهر . . حارب منافسيه بضراوة شرسة تصل للفحش أحيانا وللتدني المسف مرات . .

خاف الموت طوال حياته . .

أيقن أنه المصير المحتم . .

حارب خوفه بالانتشاء بما حققه . . أحس باقتراب نهايته . . اجتمع مريدوه وحواريوه حوله يريدون كلمة أو إشارة منه لترشيح من سيخلفه . .

همهم بكلمات غامضة . .

سخر منهم، ولم يظهر استهانته بهم جميعًا . .

همس لنفسه: الحمقى يتوهمون أنني سأجعل لأحدهم مكانة بعد رحيلي، سيعودون كما كانوا ذرات رماد متناثرة يتسابق الناس على تجنبها، لا بد أن يثق الناس أن لا قيمة لهم إلا باقتباس الأهمية من تواجدهم حولي.

أحس باقتراب الموت وبدنو الرحيل الإجباري . . غزاه الاكتئاب ولم تفلح ادعاءاته بالانتصار في الحياة .

اكتشف أنه كان أفاقًا مع نفسه ، وأضاع عمره في حياة مزيفة وأضواء لامعة تخفي "الخواء" والجوع الداخلي . . مات خائفًا ، جائعًا ، مهزومًا ويتنفس الوجع والمرارة . تنافس خدمه وحواريوه والمنتفعون منه بحياته على السعي لوراثته دون جدوى . .

عاشوا الهزيمة . . ولعنوه "سرًّا" .

*****

حرية

وضعت زرعًا في شرفتها . . أحضرت طعامًا وماءً للعصافير . .

مرت أيام . .

جاءت العصافير . . انضم اليمام . . راقبتها عن بعد حتى لا تزعجها . . استمتعت . . بهرتها الزقزقة . .

تنبهت أن أصوات العصافير الحرة أجمل من العصافير المحتجزة بالأقفاص . . دعت بالحرية لكل المخلوقات .

ذات يوم، أعجبتها كثرة العصافير في شرفتها . . التقطت صورة . . وضعتها على "اللاب توب" لتراها عند بدء عملها . . ابتسمت لهم كثيرا . .

ثم لم يعجبها أنها وضعت لهم صورة لا يتحركون فيها وكأنها تجمدهم . . ودت لو استطاعت تحريك الصورة لتنطلق معهم في حيوية تتنامى، ولا يقترب منها أي ذرة تناقص أبدًا .

* * * * *

سواد

قرر ألا يقسو على إنسان مهما اختلف معه . .

هتف : القسوة تضع في قلبي ولو ذرات من السواد . .

ابتسم . .

قلبي غال، ولن ألوثه . .

اقترب من البعض، وازعجه ما رآه . .

ابتعد قليلا . . تابع أحدهم . . هاله كم السواد بقلبه . . كلامه . . أفعاله . .

فتش عن نقطة بيضاء لم يجد . .

اعترض . .

لابد من وجود شيء ما أبيض داخله . .

واصل البحث باستماته . . تنهد فرحا . .

هتف : مؤكد أنه كان يرتدي جوربًا أبيض وهو صغير، وربما ما زال يرتدي بعض الملابس البيضاء أحيانًا .

* * * * *

قليلا

بدأ يومه حزينا . . استسلم للضيق، بفتور راح يقلب في الفضـائيات . . أزعجه صراخ قارئي نشرات الأخبار . .

استاء من زيف من يقدمون بـرامج العنايـة بـالنفس . . بـدوا كمنـدوبي إعلانات لحوحين .

شاهد بعض لقطات من عدة أفلام . . احتضن انزعاجه . .

واصل التفتيش في الفضائيات . . فوجئ بشخص يشبه "قليلًـا" زعيمًـا راحلًا أحب نقاءه . . صـموده . . شـجاعته . . إخلاصـه وتعاليـه علـى الدنيا . .

ابتسمت خلاياه . . طربت دمائه . . انتعش قلبه . . ارتاح عقله .

* * * * *

فقط

تسسب في إيلامه وجعل من يحبهم يعانون . .

مضت أعوام . . تقابلا في مناسبات مختلفة . . حرمه من اللوم . . ضن عليه بالخصام . . تكلم معه وكأن شيئًا لم يكن . . كان حريصًا على عدم إطالة الحديث . .

مضت سنوات أخرى . . التقيا مع أصدقاء للطرفين . . قضيا وقتًا طويلا . . شمل الحديث مواضيع اتفقوا عليها . .

فوجيء به يودعه وهو يرجو تكرار اللقاءات لإذابة الجفاء وتدعيم الود . . توقف عند قوله : اللقاءات تثبت أننا أقرب مما نتخيل .

ابتسم . .

هتف فور مغادرته : هل يخدع نفسه أم يتوهم أنه يخدعني؟ أنا لا أراه يستحق أي تواجد . . بحياتي لا بالغضب ولا بالترحيب . .

فقط ، كنت بحاجة للكلام ، "وصادف" رؤيته واتفاقه معي في رؤيتي . . أسعده شعوره بوحدته التي جعلته يطلب منه بإلحاح اللقاء مجددا . .

ابتسم برضا وعذوبة .

* * * * *

خوف

مر بأزمات مادية متلاحقة . . توقع الأسوأ . . جاءت النتائج أفضل مما توقع . .

انتهت .

" قرر " الاحتفاظ بالخوف من تكرارها . . رأى الخوف جزعه . . تمكن منه " واستبد " بثواني عمره وسنواته . . " حرمه " من الفرح بالرحابة المادية . .

ضيق عليه حياته . .

زرع التجهم بوجهه ، والقلق بقلبه ، والغضب بعقله .

* * * * *

اختيار

تعرض لحادثة مؤلمة . . تنفس الوجع . . أدمن الرثاء للنفس . . أخبره الطبيب بفرصة جيدة للتعافي بعد جراحة صعبة يعقبها علاج طبيعي لعدة أشهر . .

خاف من الجراحة . . كره طول مدة العلاج الطبيعي . . رفض عرض الطبيب، صرخ الأخير بوجهه : سيتضاعف الوجع مستقبلًا، لن تجدي المسكنات وربما تفقد الحركة تماما . .

أصر على الرفض . . تشبث به . .

مرت أشهر .

تزايدت أوجاعه . . أقنع نفسه : الجميع يعاني . . تضاعفت . .

هتف : الألم جزء من الحياة .

* * * * *

خداع

سمح للغضب بافتراسه . . استغل السخط الموقف وسارع بالانضمام . . وجد نفسه يصرخ : أين الجنّي صاحب المصباح؟ فليأت حالًا أو يتحول رمادا . .

فوجئ بالجنّي أمامه يسأله عما يريد . .

أجاب بسرعة : أريد أن تجعل ما بقلوب الناس يظهر على وجوههم حتى لا يستطيعوا الخداع . .

ابتسم الجنّي ، ثم ضحك . . وتعالت ضحكاته . . هدأ الجنّي وسأله : هل تؤكد على طلبك قبل أن يكون حقيقة فوراً؟

صرخ : بالطبع .

واصل الجنّي ضحكاته بنزق ، وهتف : لك ما طلبت .

اختفى الجنّي قبل أن يتساءل ، هل كنت أحلم أو أهذي؟ نظر من النافذة لوجوه الناس . .

أفزعه مارآه . .

كانت وجوه من رآهم خليطًا بشعًا بين السواد بدرجاته ونتواءات مخيفة وقرون وذيول نبتت بالجبهة و . . و . . و . . .

ابتسم بتشف . . تنفس الارتياح . .

هتف : بدوتم على حقيقتكم أيها الأوغاد، كشفت سواءاتكم اللعينة .

استرخى بفرح لم يقترب منه منذ سنوات طوال .

تنفس الرضا . .

نهض بتثاقل ليحتفل برؤية وجهه بالمرآة . .

سقط مغشيًّا عليه من هول ما رآه .

* * * * *

رجل

يحاول إتقان عمله ليفوز بمكافأة مادية . . عندما يحصل عليها . يسارع بشراء هدايا وطعامًا مميزًا لزوجته وطفليه . . يسعد برؤية الفرحة على وجوههم . .

يبتهج "بالتوسعة" عليهم ما استطاع . .

يبحث عن أي فرصة ليمنحهم البراح المادي والرضا . . لتقر أعينهم ولا يحسون بأنهم أقل ممن يعرفون .

* * * * *

أسامة

مرت ١٠ سنوات على رحيله . . لم تتقبل فكرة موته . . لا أحد يموت إلا عندما نتقبل ذلك . .

احتضنته بقلبها . . روته من حبها . . كثيراً ما تتكلم عنه وكأنه لم يرحل . .

تنتظر عودته أحيانًا . .

تقبل صورته يوميًّا . .

يبتسم قلبها عندما تتذكر تعليقاته المرحة ومشاغباته الكثيرة . .

في ذكراه هاتفت أمه . . تكلما بأمور عديدة، ثم قالت : لن أقول لك "تعيشي وتفتكري" ، فمن ذا الذي لا يتذكره يوميًّا؟

أنهت المكالمة . .

أرسلت قبلة طائرة لأسامة وابتسمت له . . تدفقت دموعها رغمًا عنها .

*أسامة صديقي المفضل دوما وابن شقيقتي

* * * * *

امتنان

بدأت علاقتهما عندما كانت في السابعة عشر من العمر . .

كانت بالعام الأول بالجامعة، حيث شاركت بأنشطة كثيرة وتنبهت لاقتراب الامتحانات ولم تفكر في مطالعة محاضراتها . .

أصابها الفزع من التفكير باحتمال الرسوب . . نصحها شقيقها بتناول القهوة لتتمكن من السهر . . استجابت . .

سهرت وذاكرت باستماتة . .

نجحت . .

واصلت تناول القهوة . . صارت صديقتها . . تحب مذاقها . . تعشق رائحتها . . قد تبتعد عنها قليلًا وتتناول "الكافيه" ، ولكن تحتفظ لها بمكانها ومكانتها . .

تشربها أحيانا بتعجل، ولكن بحب . . تعرضت لمشكلة صحية فرضت عليها الامتناع عن تناولها . .

تحايلت . .

وضعت القليل جدًا من البن، وتناولت قهوتها مرتين يوميًّا كعادتها . .

تحسنت صحتها . .

أخبرها الطبيب بإمكانية تناول القهوة . .

فرحت . .

صنعت القهوة بالكم المتعاد من البن . .

استمتعت . .

بعد يومين عادت لتقليل البن حتى لا تتنكس صحيًّا . .

أحست بالامتنان الجميل، لأنها "خلقت" تكره الإجبار . .

* * * * *

رحابة

مضى وقت طويل منذ آخر لقاء . . تقابلا . . تعمدت كل منهما إخفاء ما يؤلمها عن الأخرى . .

ابتسمتا . . تكلمتا بأمور لطيفة . . أفلتت من كل منهما بعض الأوجاع . . سردتها بسرعة . . أكدت الصديقتان أنهما لا يشكوان . .

تلقت كل منها كلمات قليلة داعمة ومشاعر كثيرة "حقيقية" . . تبادلتا المزاح . .

انتهى اللقاء سريعا . .

انصرفت كل منهما لبيتها وهي بحال أفضل، وبمساحات أكثر رحابة داخل عقلها وقلبها .

* * * * *

غضب

أوجعته غباوات البشر وغباراتهم، وتنافسهم في القسوة "غير المبررة" على بعضهم، وتنامي سخافاتهم، وتناقص رغبته وقدرته على تجاهلهم..

حصل على إجازة من كل شيء.. جلس وحيداً ببيته.. أدار التلفاز.. انتبه إلى أنه لا يعي ما يراه.. بحث عن جهاز التحكم.. لم يجده.. فتش طويلا دون جدوى.. توعده بتحطيمه فور العثور عليه..

بعد بحث طويل وجده..

حطمه..

غادر منزله لشراء جهاز تحكم جديد..

تنفس الارتياح..

عانق الخلاص..

* * * * *

خطابات

كثرت انهاكاتها . . تلاحقت بقسوة . . تشبثت بكرامتها . . زرعت الصمود بخلاياها . . واصلت حياتها وكأن شيئًا لا يحاصرها . .

تضاعف الإنهاك وتنامى بقسوة . .

بحثت عمن يصغي إليها بود واحترام وتفهم . .

ابتسمت برضا . .

احتضنت خطابات أبيها الذي غادرت جسده الحياة منذ ٣٠ عامًا . . و١٤٥ يومًا . . وساعتين .

* * * * *

يضيف

يفرح العجوز الثمانيني كلما قام بتفقد أقاربه؛ من تبقى منهم على قيد الحياة من جيله، ومن يصغرونه من شتى الأجيال..

يتابع الجديد بالحياة عبر الفضائيات والإنترنت.. يذهب "بهمة" ونشاط لمساعدة من يطلب مساعدته، ولو تطلب ذلك بعض الانتقالات المجهدة، والمكلفة ماديًا أيضا.

ولم لا يذهب؟ وهي تمنحه شعوراً "رائعًا" بأنه ما زال "يضيف" للحياة.. يستريح بعدها كثيراً.

يتنفس الرضا والبهجة "ويحتض" انتعاشًا داخليًا "يذيب" أوجاع أمراض الشيخوخة ويعيده شابًا.

* * * * *

غيظ

تعرض لوعكة صحية قاسية . . اجتازها بصعوبة مؤلمة . . فكر للمرة الأولى بالموت . . قرر توزيع ممتلكاته على أولاده وحرمان زوجته من الميراث . .

أسعدته الفكرة . . منحته الرغبة في استرداد صحته وأمدته بطاقات هائلة . .

فوجئ بوفاة زوجته دون أي أمراض . . صُعق عندما اكتشف أنها حرمته من الميراث . . قاوم الصراخ بصعوبة . . بذل جهداً شاقًا للتماسك . .

لا يحتاج لأموالها القليلة مقارنة بثروته . . لا يعرف أسباب حنقه المتنامي من حرمانها له . . هل لأنه يؤكد رفضها له، أم لسعيها لإغاظته حتى بعد موتها، أم فرحها بإحراجه أمام أولادهما ومن سيعرفون، أو لأنها سبقته في صفعه بالحرمان؟

تجاهل أنه فعل مثلها . . اختزل أمنياته بالحياة في عودتها للحياة ولو لثانية ليخبرها بأنه حرمها من ميراث أكبر وأهم . .

فكر في زيارة قبرها وإخبارها بذلك .

هتف : قد يسكن ذلك الوجع "مؤقتًا" ، ولن يقضي عليه أبدًا .

* * * * *

رسوب

ابتسم الأستاذ الجامعي لطلابه . . بكل الود مازحهم ليحفزهم . . هتف : لماذا يحصل أحدهم على تقدير جيد بينما يستطيع أن يفوز بامتياز؟

صاح طالب : وماذا عن تقدير "مقبول" ؟

فزع الأستاذ ورد بسرعة : ليس لدي هذا التقدير؟

صرخ الطالب : هل ما بعد الجيد الرسوب؟

انتبه الأستاذ أنه داخله لا يرضى "بأقل" من الامتياز . . ويرى ما عداه رسوبًا .

*****

تساؤل

أعـد جملًـا وانفعـالات وأسـلوب كـلام لكـل المناسـبات والمجـاملات الاجتماعية . . أجادها . . تنطلـق تلقائيًـا فـور بـدء المقابلـة أو المحادثـة الهاتفية . .

مر بأزمة صحية . .

تناول أدوية أفقدته مؤقتًا بعض التركيز . .

تنبه إلى أنه خلط في الردود المحفوظة . .

أزعجه أن أحدًا لم يراجعه أو ينتقده . .

تساءل : هل كانوا يعرفون ولا يهتمون، أم أنهم لا يبالون بوجودي؟

* * * *

كلب

تنبه كلب لكيس به بقايا طعام رائحته شهية . . تسلل ببطء . . فرح أنه "وحده" الذي رأى الكيس . .

سحبه لمكان بعيد ليأكله . . أثناء سحبه للكيس "فطن" لكلب آخر ينظر إليه . . توقف عن السير . . دارى الكيس بجسده . . دق قلبه بعنف . .

"كره" التفكير في أن هذا الكلب سيقاسمه الطعام، "وربما" سرقه منه . .

استمر بالوقوف . . مر الوقت متثاقلًا وكأنه يتحدى "صبره" وقوته الداخلية . . نظر بتأنٍ للكلب الآخر . .

فرح لاختفائه . .

بدأ يتناول الطعام باستمتاع "يغسل" القلق ويزيل الخوف، ومن آن لآخر يرسل نظراته ليتأكد أن لا أحد يتابعه . . ثم يواصل التهام الطعام "وكأنه" لم يأكل من قبل .

* * * * *

قناع

فـوجئ الموظـف بقـرار صـدر رغمًـا عنـه . . نقلـوه لعمـل يكرهـه الكثيرون . . ينفذ قراراتٍ تعسفية بحق زملائه . .

سبقه أكثر من زميل تعرضوا لمضـايقات الـزملاء . . تنفسـوا "المـرارة" لعدم تفهم الغالبية أنهم "فقط" ينفذون الأوامر ولم يصدرونها . .

كـانوا يعتـذرون بلطـف وتقبـل قليلـون جـدًا اعتـذاراتهم . . وصـرخ الآخـرون في وجـوههم، وأسـاءوا إلـيهم، "وألقـوا" بغضـبهم مـن القرارات في وجوههم . .

فكر الموظف الجديد . . "كره" مصير من سبقوه . . وضع علـى وجهـه قناعا متجهما . . تعمد ألا ينظر بوجه من يتعامل معهم . .

لم يتكلم معهم؛ يكتفى بتبيلغهم القرار بصوت بارد وبكلمات قليلة ثـم "يسارع" بالتشاغل عنهم . .

"احتفل" بنجاته سراً .

* * * * *

تحايل

لا يعرف متى بدأ "ادعاء" تجاهله..

كل ما يدركه جيداً أنه "يشاركه تفاصيل حياته" في يقظته ونومه.. هو الوحيد الذي لا يفارقه أبدا.. في فرحه قبل حزنه.. في الأولى قد ينتقص من فرحته أو يضاعفها.. يقللها عندما يفتقد من "رحلوا" ولم يشاركوه الفرحة؛ ويزيدها عندما يحس "بقلوبهم" تحتضنه فرحا..

يؤلمه كونه "فاعلًا" رئيسيًا في "الواقع" وليس بنشرات الأخبار والصحف كما كان من سنوات طوال..

كان يمتلك "رفاهية" الاستغراق في الحزن على غرباء لم يعرفهم ماتوا في أحداث مؤلمة.. فجأة أصبح الموت ضيفًا كثير الزيارات ولا يدري متى "سيصطحبه" معه.

يهرب من التفكير به؛ تارة بالاستغراق بالمرح؛ صدقا أو ادعاءً، ومرات بإدمان العمل.. وأخرى بالاحتماء بالحزن "وكأن" الموت يختار السعداء وحدهم..

يعاني من ازدواجية مشاعره تجاه الموت، يخافه وينتظره، أحيانًا يراه الواحة والخلاص، ولكنه لا يتعجله، كما "يزعجه" تجربته كشيء يجهله..

يكره دومًا الخوف؛ لطالما "اعتز" بشجاعته، يراه ضعفًا لا يليق أن "يسمح" له بالاقتراب منه.

لا يتشبث بالحياة "كفكرة" أو غاية، يرى أنه لم يفعل بها ما "تمنى"..
يمقت مغادرتها بأحلام مجهضة.. أو وأدها بإرادته.. أو "سمح" بوأدها..

يرى مخاصمة الأحلام "خيانة" للحياة.. ولا يحب الخيانة..

سئم احتضان الوجع لغياب أحبائه بالموت..

تعب من "إنكار" موتهم..

أنهكه التحايل عند تذكرهم.. "وزرع" الابتسامة وهو يكلمهم..
ويتخيل ردودهم ليجيب عليها.

*****

حثالة

سارت الشابة مع سيدة كبيرة ووجدتها تبتسم للجميع، حتى من بدوا أبعد ما يمكن عن اللطف والرقي، ولم تكتف بذلك، بل أسرعت بتحيتهم بكلمات لطيفة . .

اعترضت الشابة . . صرخت : كيف تبتسمين بود لهؤلاء الحثالة الـ " . . . . " ؟

ضحكت السيدة، ثم هتفت : أنا " أجمّل " حياتي ؛ إذا رأيتهم وتأففت سأفسد يومي وأعكر صفو مزاجي . .

وقامت بضربها بلطف على كتفها وقالت : افهمي وتعلمي .

لم تتقبل الشابة . .

مرت سنوات . .

كبرت . .

رأت بعض من تراهم حثالة . .

ابتسمت لهم بود حقيقي . .

اهتمت بتحيتهم بلطف . .

تذكرت السيدة التي رحلت عن الحياة ؛ ابتسمت لها ولنفسها . .

نظرت خلفها لم تجد أحداً . .

ضحكت بصوت . . وانتعشت .

* * * * *

صفقة

استيقظ من نومه . . راح يستعد ليوم نشـط . . أخـبره ابنـه عـن موقـف لشخص أساء إليه مؤخرا . . انتفض غضبا . . تكلم بعصـبية . . أحـس بشيء غريب يتسلل لقلبه . .

تنبه . .

اكتشف أن الكراهية تسيطر عليه . .

هتف : أكره التصرف ولا أكره الشخص .

رد الطفل داخله : تجاهل التصرف . . واطرد الشخص . . "وعد" نقيًّـا لأواصل منحك لحظات من اللعب ، وحتى لا أتركك . .

وافق مسروراً .

* * * * *

لن

كلما أنجز ما يتمنى اشترى تذكاراً . . جمع تذكارات كثيرة . . قام بنثرها بأرجاء بيته وعلى مكتبه "ليسعد" عند رؤيتها .

مرت الأعوام بسرعة . . "سمح" لها باستنزافه وابتلاعه . . توقف يومًا ليرتاح . . تنبه للتذكارات . .

ابتسم برضا "افتقده" طويلًا . .

تنهد . .

تنفس الرحابة . .

تنبه إلى أنه نسي مناسبات شراء كثير من التذكارات . . أحس بالأسى على ذاكرته . . ركله الطفل "الغاضب" داخله . .

صرخ : افرح فقط ، لن تموت إذا فرحت أقسم لك .

* * * * *

اللعين

-١

تعمد المسؤول الكبير دعوة المسؤول السابق لاحتفالية مهمة . .

ابتسم بشماتة . . هتف : سأستمتع برؤيته في مقاعد المتفرجين وأنا على المنصة . . سأنتقم من إهماله المتعمد لي لسنوات طوال . .

أراح رأسه . .

استرخى بتكاسل "أحبه" على المقعد الوثير . .

لم ينس وضع يديه بارتياح على جانبي المقعد . .

ابتسم وهو يتخيل وجه المسؤول السابق وهو ينتفض غيظا عندما تصله الدعوة .

-٢

وصلت الدعوة للمسؤول السابق . . فرح بها كثيراً . . وجدها فرصة للتواجد في "بؤرة" الاهتمام التي افتقدها مؤخراً . .

هتف : لا يهم أن أحصد "كل" الاهتمام، بامكاني انتهاز الفرصة واقتناص دعوات أخرى، وربما اقترنت بالسفر للخارج، ويمكنني تدعيم علاقات بهتت مؤخراً . .

سارع بالاستعداد والبحث عن أفضل ثيابه وأغلى غليون .

ابتسم بارتياح . .

استرخى . .

همس : يريد إغاظتي "اللعين" ، ولا يعلم أنه جعلني أستعيد سعادتي . .

ضحك وقهقه طويلًا .

* * * * *

مكاسب

استقبل رجل الأعمال الكبير ضيفه . . تجول به في أنحاء المؤسسة . . قضى وقتًا طويلًا في التحدث عن أعماله وإنجازاته وكيف بنى والده الراحل هذه المؤسسة واستحق الريادة في مجاله .

تكلم باستفاضة عن الجوائز التي حصداها . . والملوك والرؤساء الذين قابلاهم ، والمؤسسات العالمية التي أشادت بهما .

تنفس الرضا والزهو والبراح النفسي . . استمتع بإعجاب الضيف . . استمع لطلبه بتركيز . . أبدى ترحيبه البالغ به إنسانيًا . . أشاد بمزاياه . . أسرف بتدليله . . قدم له عرضًا يبخس حقوقه . . تجاهل استغرابه . . أفاض في ذكر الأوضاع الاقتصادية السيئة بالوطن والعالم . .

منحه فرصة ليفكر . .

حضر ابنه بعضًا من اللقاء . .

سأله : لماذا تصر على الجولة وأحاديث الإنجازات مع كل من يأتي إليك صغيرًا أو كبيرًا؟

رد بهدوء وقد اتسعت ابتسامته : أُسعد نفسي "وأنتعش" ، واستريح من اللهاث اليومي أولًا . . ثم أجعله ينبهر بعملنا ويصبح أداة للدعاية عنا دون أن يدري ثانيًا ، ثم أحصل منه على أفضل ما يمكنني بأقل الجهد ، أو أجعله يندم لأنني رفضت التعامل معه . .

* * * * *

يجب أن

توجه لعمله كالمعتاد . . لكنه لم يكن يومًا عاديًا . . خاف كثيرًا من مجيء هذا اليوم . . لم ينتظره أبدًا . . تهرب منه دومًا . .

بلغ سن التقاعد . .

واليوم آخر أيامه بالعمل . .

يجب أن يبتسم طوال اليوم للزملاء والزميلات، ويقنع نفسه بأنه على ما يرام، وأنه سعيد وراضٍ تمامًا بتقاعده، وألا يبدو ساخطًا أو خائفًا من الغد والأيام والسنوات المقبلة، ولا ينتظر بدء هجوم الأمراض الجسدية بعد تقاعده، كما حدث لمن سبقوه، ولا يتوقع خلافات أسرية تنشأ عادة بعد تقاعد الزوج، حيث يشعر فجأة أنه ضيف غير مرغوب به و . . و . . و . . .

فعل ما يتوقعه الآخرون . .

ابتسم طوال اليوم . .

قبل موعد مغادرته فوجئ بزميل لم يره منذ فترة طويلة . . أخبره بأن اليوم آخر أيامه بالعمل . . احتضنه الزميل بمشاعره وبعينيه بود لم ينله طيلة اليوم . . هتف: ولكنني سأظل على تواصل معك، أنت إنسان رائع، أحترمك وأحبك .

أضاف: اليوم عيد ميلادك، احتفل يارجل به، وأثق أن القادم سيكون جميلا لك، وأدعو لك بأجمل مما تتمنى.

ربت عليه بود صافٍ..

تنفس السرور..

غالب إحساسه بالظلم.. كيف يحكمون عليه بالطرد من مكان قضى به ما يقارب أربعين عامًا ويصبح غريبًا عنه، "ويتعلم" أن يقضي أوقات صباحه وظهيرته بأمور أخرى غير التي اعتادها؟

لماذا يطردونه؟

تنبه إلى أنه يثق بأن ما يحدث هو الطرد بكل ما تعنيه الكلمة..

رفض خداع مشاعره..

وكره الاستسلام للوجع..

حاول طمأنة مخاوفه "وهدهدة" نفسه..

غادر المكان قبل نهاية دوامه بدقائق..

تسلل من الباب الخلفي، حتى لا يودع أحدًا، وحتى يحس بأنه هو الذي تركهم قبل أن يطردوه.

*****

براح

يحب رؤيـة الوجـوه المبتسـمة، يبتسـم حتـى لـو رآهـا في مجلـة أو علـى الإنترنت، يراها أحيانا على وجوه الحيوانات. .

يضع بعض صوره بمراحل عمـره المختلفـة في أطـر. . ينثرهـا بمنزلـه. . يحرص على أن تكون بها ابتسامات أو على الأقل تبتعد عن الـتجهم. . يرى مخاصمة الابتسام تضييقا للحياة. .

يعشق الرحابة، وإن افتقدها أحيانا. . يفكر كثيرًا في الموت. . يحـب ألا يراه مؤلمًا. . يتمنى أن يترك الألم خلفه عندما يترك الحياة. .

اختار أفضل صورة لـه وهـو يبتسـم مـؤخرًا. . دعـا أن تكـون صـورته عندما يغادر الحياة مبتسمًا راضيًا مستبشرًا "ببراح" يتنامى.

* * * * *

وسمح ..

جلس يومًا مع جاره الذي اقترب من التسعين . . تكلما بأمور كثيرة . . اتفقا في الكثير واختلفا – بصخب ـ في الكثير . . أخبر جاره التسعيني أنه يحلم بالإقامة لأيام بمنتجع سياحي معروف، ومستعد للموت بعدها . .

ضحك التسعيني وهتف : منذ بلغت السبعين قررت الاستمتاع بما تبقى لي من حياتي، فتوقفت عن التدخين، وقمت بترشيد نفقاتي، واستغنيت عن إنفاق ما لا يمتعني، وادخرت هذه الأموال لأتنزه في مثل هذه الأماكن كلما جمعت نفقات أحدها .

علت ضحكاته مضيفًا : وهناك أستمتع بانتعاش . . ورضا . . وحب للحياة .

سخر منه قائلا : ما زال أمامي ثلاثون عامًا لأبدأ كما بدأت .

لم يرد التسعيني .

انتهى اللقاء .

مضت أشهر .

فوجئ بمكالمة هاتفية من التسعيني يطالبه بسرعة الذهاب إليه . .

وافق متأففًا . .

ذهب . .

وجده يمشي على عكازين بعد سقوطه على الأرض . . عرف أنه سيخضع لفترة علاج طويلة . . همس بسره : مالي بقصص العجزة؟ تمتم بكلمات غير مفهومة . . نهض ليغادر . .

استوقفه التسعيني بابتسامة صادقة . . أعطاه بعض الأوراق . . سأله متعجلا : ماذا بها؟

رد بصبر "وود" صاف : إنها أوراق حجز للمنتجع الذي أحببناه . . كنت سأذهب إليه الأسبوع المقبل لولا ما حدث ، خذها ، فقد دفعت التكاليف كاملة ، ورفضوا إعادة المال ، وبذلت جهداً معهم لتذهب وتستمتع بدلا مني .

تصنع الرفض وهو يخشى استغلال التسعيني للموقف . . أصر التسعيني . . أخذها شاكراً .

وصل للمنتجع . . تأمل سحره البديع . . فاق جماله تصوراته . . أذهلته الخدمات التي لم تصل إليها أحلامه . . استمتع لدقائق معدودة .

ثم صرخ : كيف عجزت عن التصرف مثل التسعيني؟ لن أصل لعمره أبداً ، سأموت شاباً وحيداً تعيساً ، ثم كيف حصل كل زوار المنتجع على الأموال التي ينفقونها بسهولة وكأن لديهم جبالًا من الذهب الخالص؟

تنفس التمزق والوجع . . "وسمح" للحسرة بالتهامه .

* * * * *

مبارزة

استشار صديقه المخلص قبل الذهاب لمسؤول يعرفه الأخير ولم يتعامل هو معه من قبل . . ابتسم الصديق ثم ضحك وقهقه . . تابعه بصبر . .

تماسك الصديق، وقال: هل سمعت عن الإنسان "الألعبان" الذي يتحدى الزئبق؟ لا تستطيع الإمساك به، ويأخذك في جولات من الكلام ترهقك ولا تحصل منه على شيء، إنه هذا "الكائن" . .

شكره ممتنًا . .

أخبره الصديق: حاول فعل ما يمكنك وقم بتأجيل مقابلته .

تضاعف الامتنان . .

حول النصيحة لواقع . .

ثم فوجئ بأنه لا مفر من مقابلة الكائن الزئبقي . .

ابتسم لنفسه . . رتب أفكاره . . أعد جملًا مكثفة هجومية . . يثق أن الفريق الذي يدافع يُغلب بسهولة . .

قابله الزئبقي "بأوسع" ابتسامة رآها بحياته . . منحه شعورا أنه يفضل إلقاء نفسه بالجحيم على رفض طلبه . . رد على ابتساماته بأوسع منها . . دخل بمبارزة معه في "الزئبقة" .

لاحظ استمتاع الزئبقي "بسيطرته" على إصدار القرار بالموافقة أو بالرفض . .

نهض وهو يكمل حديثه وكأن الأمر لا يعنيه قائلا: سنؤجل الأمر لوقت آخر . . سعدت بالتعرف إليك . . وتركه وهو منتعش لحرمانه من الاستمتاع بـ"الزئبقة" .

فكر في مهاتفة صديقه ليخبره بأنه ولأول مرة "يقصر" في تشخيص الحالة .

* * * * *

لطمة

ذهب لمصلحة حكومية لأداء أمر يهمه . . تجولت عيناه بالمكـان . . كـان بسيطًا، والعاملون وضعوا أدوات لصنع الشاي بجوار المكاتب . .

ابتسم بود حقيقي . . تذكر بداياته في العمل منذ سنوات طـوال . . كـان في مكان يشبه هذه المصلحة . . تركه وبحث عن الأفضل . . أخذته الحيـاة "بموجات" صـعود وهبـوط . . احتـل مكانـة جميلـة "لم" يكـن يحلـم بها . . سرت الابتسامة بدمائه . .

سمع صوتا داخله : لماذا لم تحتفل؟

رد بأسى : أدمنت اللهاث . .

لطمه الصوت : الإدمان "اختيار" .

* * * * *

بارتياح

ظل طويلا يراه بجوار مترو الأنفاق . . رجل كبير في السن يبيع المناديل الورقية ويتشاجر مع المارة الذين لا يشترون بصوت أجش وأسلوب فظ . .

كرهه . .

تعمد ألا يشتري منه حتى لو احتاج للشراء .

اختفى الرجل عدة أسابيع . . . لاحظ غيابه . . أحس بالضيق . .

همس : ربما مات ، لماذا لم تشتر منه؟ هل انتصرت على الغباء الذي يحاصرك ممن يمتلكون أضعاف ما يحلم به هذا المسكين؟ لماذا استكثرت عليه الضيق ممن لا يشترون منه وهو لا يملك شيئًا من حطام الدنيا؟

أحس بالكآبة تعتريه كلما مر بمكان الرجل الخاوي . . قرر استخدام مكان آخر ليستقل المترو . . فوجئ بالرجل يبيع مناديله " ويتشاجر " مع المارة وهو يجلس " بارتياح " بمكانه الجديد المشمس الذي يتحدى برد الشتاء .

* * * * *

كالبخيل

احتضن منذ صغره النجاح حلما وهدفا وأملا ورفيقا وحبيبا . . اقترب منه كثيراً . . ابتعد عنه مرغمًا أحيانًا . . خاصمه بإرادته في بعض الأوقات . .

تناسى دوما الاحتفال بما يحتضنه من نجاحات "تنير" عمره . .

كان كالبخيل الذي يضع ملايينه في جرة . . "يخاف" أن ينفق منها . . ويموت "رعبا" من احتمال تعرضها للكسر .

* * * * *

أقل

لا يعرف متى بدأ عادة مراقبة الناس، وقراءة العيون، وتفسير ما تخفي الابتسامات، والانتباه لحركات أجسادهم المفاجئة..

كل ما يوقنه أنه يستمتع كثيراً بذلك.. ويرى نفسه ملك الفراسة.. يتوخى الحذر في المراقبة حتى لا ينتبه من يلاحظه فيتصنع أو يكرهه..

يومًا قرر مراقبة نفسه.. نظر لمرآته؛ ركز على عينيه، ابتسامته، تحرك فجأة.. أوجعه ما رآه.. قرر تجاهله..

واصل مراقبة الآخرين بمتعة أقل..

* * * * *

هوان

"أقنع" نفسه أن التسامح يذيب المشكلات ويجلب الحلول ويمتعه بالنجاحات.. تمادى في إغراق نفسه بالتسامح..

فوجئ بكثرة الطعنات وتناميها حتى من المقربين.. واجهها بمضاعفة التسامح..

تجاهل أن من يتنتفسون الهوان والمذلة بدأوا في ركله بأقدامهم "للتغطية" على هوانهم..

تغافل عن أن من "يتنتفسون" العزة ابتعدوا تدريجيًّا حتى لا يعاملهم الحثالات كما يعاملونه.

* * * * *

بقوة

يختار العاملون في التعامل معه . . لا يبدو كعامل بسيط يصنع المشروبات . . يرتدي ملابس أنيقة دوما . .

من يراه يظنه موظفًا بمكانة جيدة بالمكان . . بل يبدو أفضل من بعض الموظفين شكلًا وتعاملًا . .

يترفع عن طلب ما يزيد عن أجره . . يبتسم دوما للجميع . . يرفض بقوة لا يعرفون مصدرها أي مساس بكرامته . .

تصدى بحزم لموظف كبير حاول إهانته . . تحمل الخصم الظالم من راتبه البسيط دون شكوى . .

يجهلون أنه يرى قيمته في عزته ، وليس في مؤهله أو ما يملك من مال .

* * * * *

احتواء

صرخ في وجه زوجته التي تطالبه بالتوقف عن خيانتها مع كل أنثى ولو كانت خادمة . .

شتم ابنه بألفاظ بشعة عندما طلب منه زيادة مصروفه . .

رفض اصطحاب ابنته معه في سيارته لتذهب للدرس الخاص . .

وقف طويلا أمام المرآة ليتأكد من أناقته . . وضع العطر الغالي الثمن . . ابتسم لنفسه بعشق وانتشاء . . تعامل بصلف مع سائقه كعادته . . وصل للفضائية الشهيرة . . صافح معد البرنامج بود أذهله . .

فرح المعد بحسن اللقاء . .

طرب هو لنفسه "لتحسن" أدائه . .

أبهر المذيعة بالثناء عليها أولا ثم بالحديث باستفاضة عن الواجب "المقدس" لكل أدم في احتواء زوجته وتخفيف أعبائها، وإشاعة الحب بين الأبناء، ومنح زوجته التدليل المتنامي الذي يعد "أقل" حقوقها . .

دمعت عينا المذيعة رغمًا عنها . . هتفت بوجع : ليت رجالنا يتعلمون منك ويشربون "ولو" نقطة من فيضان حنانك . .

تذمرت النساء اللاتي تشاهدن اللقاء بالمنازل من أزواجهن . .

وسارعت أخريات في التخطيط لإجبار الأزواج على الاحتواء . .

وكتبت زوجات على مواقع التواصل تفاصيل ما قاله نصير المرأة . . وأعلنّ الحرب على كل رجل لا يتقن احتواء حواء . . مثله .

* * * * *

ضيق

أحس بكراهية حياته وبالضيق يحاصره . .

ذهب لحديقة مجاورة لعمله . .

تعمد ترك الأماكن المخصصة للسير ومشى على النباتات . .

تجاهل الزهور النابضة بالجمال وأمعن النظر إلى بعض أوراق الشجر الذابلة . .

رأى بعض النمل يسير بعيدا عنه . . "قفز" متجها نحوه . . استغرق في سحقه بقدميه حتى "أجهز" على آخر نملة . .

ثم غادر الحديقة وقد "تنامى" الضيق داخله وخارجه .

* * * * *

تعادل

توقف السائق ليشتري بعض الأغراض . . ساد الصمت بين الأب وابنه . . "رحبا" به . .

أمسك الابن بهاتفه وادعى أن الشبكة لا تعمل جيدا . . غادر السيارة ليجري مكالمته . .

أخفى الأب ابتسامته . . أخرج هاتفه ليجري مكالمة لم يحب أن يسمعها ابنه .

* * * * *

هروب

هرب من واقعه المزدحم داخله وخارجه . . ذهب لمكان بعيد . .

استمتع بالبراح . . صعد جبلا . . انتشى . .

تنفس "رضا" طال اشتياقه إليه . . استمتع بعذوبة "نسى" وجودها بالحياة . . تجول سعيدا . .

فوجئ برؤية رجل يعرفه . . أخفى غضبه بصعوبة . . لا يريد الكلام، يرغب بقوة باحتضان اللحظة "ويتشبث" بها . .

ابتسم مجاملا . . رد الآخر بابتسامة متكلفة . . تصافحا بتعجل، وكأن قطارا سيداهمهما . . انصرف الآخر سريعا . . تنهد هو بارتياح من نجا من السقوط من الجبل . . ضحك بصوت عال . .

هتف لنفسه : هو أيضا هارب .

* * * * *

السر

اهتمت الجدة بإعداد الطعام لحفيدها . . تنفست الرضا . . سمحت للابتسامات بالتحول لضحكات خفيفة . . تفننت في طهي ما يحبه . . ألحت بالدعاء أن يكون مذاقه جميلا؛ ليفرح .

أرادت نقل بعض الحساء من إناء لآخر . . بحثت عن الملعقة الكبيرة وجدتها أسفل بعض الأواني . . طرأت فكرة . . استقبلتها بفرح طفولي . .

أمسكت بملعقة صغيرة وراحت تنقل ما أرادت من الحساء . . استمتعت بسكب بعض الحساء على الموقد . . سمعت صوتا لطيفًا عند وقوعه على النار . .

هتفت : قليل من الحماقة يجعل الحياة أجمل . .

تذكرت حفيدها . . ودت لو شاركها . . همست لنفسها مع أنه لا يوجد بالبيت سواها : سأخبره عندما يأتي ، سأؤكد عليه ألا يخبر أحدًا بسرنا .

فكرت : وماذا لو أفشى السر؟

ردت بحسم : لن أخبره بأسراري القادمة .

* * * * *

بعذوبة

داهمتها أعراض البرد بقسوة . . اضطرت للذهاب لعملها ولأماكن أخرى . . امتنعت عن تقبيل النساء وهتفت : أعاني من البرد . . استمتعت برؤيتهن وهن يتراجعن وكأنها أصيبت بالطاعون . .

تنوعت الردود : الجميع مرضى في هذه الأيام ، أنت دائمًا مريضة ، يبدو أن مناعتك ضعيفة ، الإرهاق يعلن عن نفسه في وجهك الشاحب ، لماذا حضرت للعمل؟ هل تريدين إصابتنا؟ أنت أفضل حالا من حالات كثيرة رأيتها . .

تنبهت إلى أن أحدًا لم يقل لها : نتمنى لك الشفاء والسلامة .

تخيلت وجه أمها الراحلة وهي تدعو لها وتقبلها وتحتضنها بحنان الكون ، وتطالبها بالاهتمام بنفسها ، وبالابتسام دائما لتنير وجهها .

ابتسمت واحتضنت نفسها بود وأحست "بالشفاء" يتسلل بعذوبة ناعمة .

* * * * *

منع

وقـع بعـض الإعلانـات ليـتم وضـعها كالعـادة في لوحـة الإعلانـات بالشركة . . لفت نظره كثرة إعلانات الوفيات بين أعمار مختلفة . .

تنهد . .

فكر : الموت يأتي فجأة ويداهمنا .

استطرد : ترى من سيوقع ورقة إعلان وفاتي؟

هتف : لابد أنه فلان، فهو ينتظر استقالتي أو إحالتي للتقاعـد أو وفـاتي ليحل محلي، فهذا دوره . .

قال بغضب : ولكني أكرهه . .

تنفس الكراهية "وارتج" جسده غضبا . .

صرخ : لابد من منعه بأي وسيلة . .

سارع بالسعي لتحويل قراره لواقع .

* * * * *

اكتشاف

أحس بالحيوية تتراقص في دمائه بعد طول غياب . . سرت بخلاياه موجات عذبة من الانتعاش . . شاركتهم الابتسامات فتوغلت داخله .

فوجئ بنفسه خائفا . . يخاف من الانتكاسات . . ولم لا يخاف؟ فقد مر بوعكات صحية متلاحقة أنهكته وأوجعته ، وسحبت من رصيد تفاؤله وسرقت بهجته "ونالت" من زهوته .

أغمض عينيه وفكر بهدوء . . اكتشف أنه حائر بين الاستسلام للخوف "والقفز" عاليا لاحتضان الحياة . .

حسم أمره . .

سمح للنور "بسكن" ما تبقى من عمره برضا وسكينة وعذوبة لم يذقها من قبل .

* * * * *

توقعات

حدث ما خاف منه . . أحالوه للتقاعد . . احتضن الاكتئاب وانعزل عن الجميع . .

حصل على قدر جيد لم يتوقعه من الاهتمام والمطالبات الصادقة بطرد الموات حتى لا يستوطنه . .

استمتع . .

تناقص الاهتمام تدريجيًا . . وعاد الجميع إلى شرانقهم الخاصة . .

تنفس الوجع . .

تحول إلى شكاوى تتزايد . .

لاحظ تبرم من يعرفونه . . تزايدت وحشته . . ضاق بنصائحهم . . فكر في حيلة . .

عندما يهاتفه أحد يسارع بإخباره بأنه ذهب للنادي وقضى وقتًا جميلًا ، أو تجول في الأسواق واشترى ثيابا زاهية وتناول طعامه بالخارج و . . و . . و . . .

تلقى إعجابًا رائعًا وسعادة ممن يعرفونه بالتغيير الذي اختاره . .

فرح بتلاشي النصائح . .

فوجئ "بانتعاش" يتسلل إليه وهو يحكي مغامراته المزعومة . .

أحس بالدماء تسري في عروقه المجمدة . .

شعر "بحيوية" ظن أنها ماتت ولم يفكر أنه وأدها بيديه . .

همس لنفسه : كل ذلك بسبب حكايات مزعومة ، فماذا لو تحولت لواقع يسكنني وأسكنه؟

ارتدى ملابسه . .

غادر منزله . .

ابتسم .

* * * * *

صفعات

وقعت الصغيرة على الأرض . . بكت . .

تذكرت ما قالته أمها لها . .

سارعت بالنهوض . .

ضربت الأرض بقدميها . .

مسحت دموعها . .

واصلت اللعب . .

كبرت . .

تنوعت عثراتها بالحياة . .

كانت تنهض بسرعة . . ثم تصفع نفسها بقوة لأنها سمحت للعثرات "بالاقتراب" منها . .

كانت صفعاتها موجعة "أكثر" من وجع العثرات .

* * * * *

فقط دقائق

عمل باجتهاد طوال عمره . . حلم بمنزل واسع بحديقة جميلة كالتي عاش بها بطفولته . . بعد سنوات طوال تحقق حلمه . .

هتف : سأدلل نفسي واستمتع بالحديقة .

أنفق عليها الكثير . . جلب أفضل الأشجار وبالغ في وضع الأرائك المريحة والإضاءات المميزة . . قضت زوجته وصديقاتها أوقاتًا جميلة بالحديقة بالتناوب مع أولاده وأصحابهم .

تنبه يوما أنه " نسي " الحديقة . . حصل على إجازة من عمله . . تناول إفطاره بهدوء . . توجه للحديقة . .

لم ينس اصطحاب " اللاب توب " وأوراق عمله . .

تأمل دقائق في جمال الحديقة وسحر الأزهار وروعة التنسيق . .

ثم وضع رأسه في اللاب توب " واستغرق " .

* * * * *

الطبيب

أنكر ألمه . . تجاهل إحباطاته من أقرب الناس إليه . . تغافل عن الوجع . . انتهز الوجع الفرصة وانتشر وتوغل وسيطر على أيامه ولياليه .

همس لنفسه : أحتاج لتناول مهدئ، فقط ليخف الوجع وأتمكن من القضاء عليه . .

رفض الفكرة : أكره الضعف . .

تضاعف الألم . . سكن عقله وقلبه وأوجع أحلامه وهدد حاضره ومستقبله . . اشترى مهدئًا وهو يشعر بالعار ويتبرأ من ضعفه . . ابتلع قرصًا بمرارة . . زار طبيبه وأخبره عما فعله . .

ابتسم الطبيب . .

مد يده إلى الدرج . .

أخرج علبة دواء . .

أخذ منها شريطًا لم يتبق منه إلا قرص واحد . . كان نفس نوع المهدئ الذي اشتراه . .

همس الطبيب : أتناوله أحيانًا " لأواصل " حياتي ولأؤدي عملي . .

أضاف : أنت أسوأ " عدو " لنفسك .

* * * * *

البداية

في طريقه لعمله فوجئ يومًا بتلال من القمامة . . وضع يده على أنفه متأففا . . طمأن نفسه : سيقومون بتنظيفها غدًا .

لم يفكر في السعي لإزالتها . . تزايدت في الغد وفي الأيام التالية . . أحس بالغضب يلتهمه .

مرت أيام وأسابيع . . توقف عن التأفف من القمامة . . لم يعد يضع يده على أنفه .

مرت أشهر . .

تسامح مع القمامة "في بيته" .

* * * * *

بلا مبرر

استيقظت الحيوانات المفترسة على ضجيج أزعجها بشدة . . رأت كائنات غريبة تتصارع بقسوة لم ترها من قبل . . وبلا مبرر . .

قاموا بتمزيق بعضهم البعض . .

كانوا يتلذذون بالوحشية . .

يلتهمون بعضهم أحياء . .

يأكلون الجثث بنهم . .

لا يشبعون أبدًا . .

يلتهمهم الجوع . .

يشربون دماء بعضهم . .

لا يقتربون من الارتواء . .

يقتلهم الظمأ . .

سأل حيوان مفترس صغير أباه : ما اسم هذه الكائنات ذات القلوب الفظة وعديمة المشاعر .

رد أبوه : البشر !

* * * * *

انتقام

التهمه الوجع . . راح يئن من قسوة الظلم الذي يتفنن به أحدهم، وينافس أحقر الحقراء في الدناءة . .

فوجئ بمن يخبره بأنه يستطيع الانتقام منه ويقتله خلسة . .

هتف : لا أريد تلويث يدي بدمائه الـ" . . . . " .

جلس وحيدًا . . بكى بحرقة . . تجمعت الدموع مع التنهيدات ووجع السنين . .

قالوا له : قم بالدعاء الآن، وسيحدث الانتقام في التو واللحظة . .

صدق وتنفس اليقين . . دعا بكل خلاياه . .

مضت ساعات . . وجاءته الأنباء أن من ظلمه أصابته لوثة عقلية حيث يتهم الجميع أنهم يحيطونه بروائح نتنة لا يشمها سواه . .

ابتسم "بعذوبة" للمرة الأولى منذ سنوات . . ضحك برضا وارتياح . . لم يشمت . . كان مستمتعًا بحبور . . تابعت الدموع والتنهيدات ووجع السنين ما يحدث . . فرحوا لأجله . . استبد بهم الفضول . . سألوه بشغف : بمَ دعوت؟

رد وابتسامته تتسع وتتسع "وتحتضن" الكون : دعوت أن يشم وحده ما تبقى من عمره رائحة قلبه .

* * * * *

لنفسه

تجولت مشاعره بخلاياه . .

تمكنت . .

استبدت . .

تنفس جيشان المشاعر . .

تلفت قلبه باحثًا عمن يسمعه . .

شارك العقل في البحث . .

امتدت يده لهاتفه . .

ضغط أرقام هاتفه المحمول . .

استمع لصوت رنات معين . .

أمسك المحمول وراح يتكلم وينصت لنفسه . .

* * * * *

وغد

تـنفس الاحباطـات . . احتضـن غبـارات البشـر وغبـاواتهم . . أدمـن التوقف عند الصغائر . . ضخم الألم الحقيقي، كان كمـن يحفـر حفـرة ويزيدها يوميا حتى ابتلعته . .

يدرك أنه يضاعف صعوبة انتـزاع نفسـه مـن الحفـرة . . كـبرت الحفـرة وتغولت . .

قبل أن تنهي علاقته بالحياة، فؤجئ بالطفل بداخله يسأله :

لماذا ترحب بوأد نفسك؟

رد حانقا : ضقت من الحياة والبشر و . . و . . و . . راح يعـدد أوجاعـه منذ سنوات طوال . .

استمع لنفسه "لأول" مرة . .

اكتشف أنه "وغد" لا يعرف الفرح ويضيق الخناق على نفسه . .

أفلتت منه ضحكة افتقدها . .

صرخ : يالي من وغد ومؤذ لنفسي . .

فوجئ بالحفرة تنكمش تـدريجيًا وتلقيـه "بعذوبـة" خارجهـا وتواصـل انكماشها بلطف .

* * * * *

فوجىء

نهض من نومه متثاقلا كعادته . .

استدعى متاعب الأمس وتوقعاته لعثرات اليوم . .

لم ينس أعماله المؤجلة . .

ابتلع طعامه دون أن يحس بمذاقه . .

اتبعه بقهوته . .

نظر للمرآة قبل مغادرة منزله . .

وجد وجهًا شاحبًا يخفي الغضب المكتوم والحزن المقيم . .

تنهد . .

هتف : فقط لو أستطيع إعادة الأعوام الماضية كنت سأ . . .

لم يكمل الكلمة ، فوجئ بصورته بالمرآة تتقدم نحوه . .

تكيل له الصفعات صارخة : لن تعود .

هل ستضم اليوم والأعوام القادمة إليها؟

* * * * *

ابتلاع

عربدت الأوجاع بقلبه وعقله وجسده . .

كره التعب . .

ابتعد عن البشر وأشباه البشر . .

احتضن الصمت . .

استمع إلى نفسه باحترام . .

غزاه الإنهاك . .

استلقى باسترخاء افتقده طويلا . .

أحس بالرغبة في النوم . .

همس : لا أريد موتًا بطيئًا تأكلني فيه الحياة وتبتلعني يوما بعد يوم، إما أن أصحو على احتضان للانتصار على الحياة . . وإما أموت مرة واحدة .

* * * * *

رهان

في بداية الكون . .

التقى الحياة والعدم . .

تراهنا . .

صنع العدم حفرة واسعة . .

أحاطها بروائح كريهة وألقى بها جيفًا نتنة ، وعلى الحواف وضع بعض الحلوى ذات الألوان الجميلة .

أقامت الحياة حدائق جميلة تشدو فيها البلابل والعصافير وتمرح بين الزهور والأغصان . .

كان الرهان من يستطيع جذب أكبر عدد من البشر . .

فاز العدم .

* * * * *

توتر

تسلل . .

احتال ليبقى . .

توغل . .

تمكن . .

استبد . .

بعد سنوات طوال . . أفاق وضاق بالتوتر الـذي اسـتبد، بعـد أن تمكـن وتوغل واحتل وتسلل . خاطبه متوسلا : ألا يكفـي مـا "التهمتـه" مـن أحلامي وسنوات عمري؟

أضاف متوجعا : متى سترحل؟

سمع قهقهة بعربدة . .

تنبه لصوت خافت يجاهـد ليسـمعه، بـذل جهـدا مضـنيًا ليتبينـه، كـان صوت الطفل داخله . .

قال : الخنوع يضاعف "توحش" الخصم . . سارع بركله بأقصى قوة .

نفذ الأمر . .

احتضن الطفل واحتفلا برقصات صاخبة .

لم يتنبها للتوتر الذي كان يلملم نفسه ويستعد لجولات أخرى .

* * * * *

لماذا؟

تساءل، لماذا ينتظر أحيانا مكالمة بعض من رحلوا عن الحياة؟

هل لأنهم أغلى ممن يحيا وسطهم؟

أم لأنه منهك نفسيًا وتتوه منه الحقائق ولو لثوانٍ؟

أم لأنه يثق أنهم لن يتسببوا بإيلامه؟

أم لكل هذا الأسباب؟

* * * * *

يموت رعبا

حدد طريقه بدقة متناهية منذ بدايات شبابه، تعمد الاختلاف عن الجميع، بذل مجهودا جبارًا ليبدو أكثر فهما وـ وحده ـ من يملك المعلومات الغزيرة.

تمتع بأنف حساس يشم السلطة ولو كانت بعيدة.. يهرع لكل من اقترب منها يعامله كأنه أخر الملوك بالدنيا.. يطلب منه منحه فرصة لتقديم نصائح تفيده وتهون عليه مشاق السلطة.. يرحبون بالطبع.

تتراوح مساعداته بين ما هو جاد وما يقترب من تدليل الحلاق لزبائنه ليعودوا مجددا وحتى لا يحسوا بالملل وما يعيد به "صياغة" ما يعرفه المسؤول بطريقة معقدة يحس من خلالها المسؤول بضعف ثقافته أمامه وينبهر به ويلغي الانبهار حاسة التمييز مستقبلا.

مر بعصور كثيرة، تباينت أدواره ما بين البطل وصديق البطل والكومبارس الناطق.. وأحيانًا الصامت.

دومًا كان يجيد تذكير أصحاب السلطة والناس به بفرقعات تعيده للمشهد ولو مؤقتا..

يرفض الاستسلام لدوائر النسيان..

يموت رعبا منها..

يرى نفسه بلا رتوش..

يحسد كل قواد، ولمَ لا؟

فهو يتمتع بالحسناوات، ويتعامل مع الأثرياء، ولا يضطر أبدًا لتملق فقراء العقول، ويستمع لساعات إليهم لاصقًا على وجهه الإعجاب الخاضع والخشوع المذل.

* * * * *

الأصغر

جلس الجد مع أحفاده . . بالغ في تدلليلهم . . منحهم كل ما طلبـوه مـن حلوى وألعاب ونقود . .

راح يحكي بفخـر : طـوال عمـري أتلقـى الصـفعات والطعنـات . . لم تتوقف يوما . . كنت أداوي أوجاعي وأنهض مجدداً .

ساد صمت . .

قطعه أصغر الأحفاد : ولماذا لم تحاول منع الصفعات وتقوية نفسك؟

* * * * *

يستحق

ثلاثون عاما مضت . .

زعم خلالها الكثيرون موت الأب . .

كذبهم قلبها . .

ساندت دماؤها قلبها . .

تضامنت خلاياها . .

احتضنتهم ابتسامتها . .

عندما تُحقق إنجازات تحبها، تهديها إليه، وترى وجهه الحبيب يفيض بالفرحة .

عند الأحزان، تسعد أنها لن تؤلمه بأوجاعها . .

"تدخره" لأوقات الفرح، يكفي ما لاقاه في دنياه . . "يستحق" الفرح أينما ذهب .

كان عندما يراها غاضبة يهون عليها ويمازحها : أرى ابتسامتك تريد إنارة وجهك . . يضيف بحب : دعيها .

ترد بعبوس : هذا ليس وقت المزاح .

تبكي : تعال يا أبي ولن تفارقني البسمة أبدًا .

* * * * *

يكرر

يصحو من نومه . .

يبتسم . .

ما زال على قيد الحياة . .

لم يمت بعد . .

ينهض محملا بأهداف كثيرة لا يمكنه تحقيقها في يومه . .

ينجز بعضها . .

لا يفرح . .

يلوم نفسه . .

ينام حزينًا . .

يخاف الموت قبل تحقيق أحلامه . .

يصحو في اليوم التالي فرحًا بالحياة . .

يكرر ما فعله أمس . . وأول أمس . . وسنوات طوال .

* * * * *

ببطء

فاز بعرض انتظره طويلا، منحته شركة الهاتف المحمول دقائق مجانية كثيرة يوميًا . . هتف : سأتكلم كما أرغب بلا قلق على ميزانيتي المنهكة .

بدأ بالحديث مع من يحبهم ويحبونه . . سعد وأسعدهم . . أغرته المجانية بالمزيد من المكالمات . . خضع لها . . استمع لكم رهيب من الحكايات والمغالطات والنميمة . . دخل في جدالات وحوارات طويلة . .

التهمته كالرمال الناعمة . .

لم يتنبه لفقدانه حيويته، وبعثرة عمره، وإدمانه للكلام عبر المحمول، وهروبه من الحياة التي لن ترحمه، "وتتسلل" ببطء لا يلحظه كغالبية البشر .

* * * * *

المزيد والمزيد

طلب المعلم من التلاميذ كتابة ١٠ أشياء تسعدهم . .

تذمر الغالبية . .

ابتهجت طفلة . .

أحتضنت القلم والورق . .

ابتسمت وكتبت . .

١- أفرح برؤية العصافير مطمئنة على الشجرة وكأنها بيتها الجميل.

٢- أكون مسرورة جدًا عند متابعتي لعصفور وهو ينظف نفسه بمنقاره الحبيب.

٣- ابتهج لمنظر عصفور يأكل أو يشرب.

٤- أطير فرحًا لمشاهدة عصفور يتمايل ويتأرجح على فرع شجرة.

٥- اقفز فرحًا عندما أفاجأ بعصافير تزقزق معا وكأنها "تتفق" على نزهة الغد.

٦- امتلئ بالسرور والعصفور يرفرف بجناحيه.

٧- ابتهج كثيرًا بالعصافير وهي تتقافز على أفرع الشجرة وكأنها تتسابق.

٨- أحس بالسعادة لذكاء العصافير وابتعادها فور سماعها لأي صوت وعودتها للعب بعد زوال الصوت.

٩- أتحول لكتلة من الفرح عند رؤية العصافير الصغيرة وهي تحاول الطيران والأم تراقبها.

١٠ـا بتسم وأنا أتامل شكل العصفورة ومنقارها وجناحيها وذيلها البديع.

١١- يصيبني جنون الفرح عندما أرى عصفوراً يحرك جناحيه بسرعة أثناء الحر ليجلب الهواء لنفسه.

١٢ـأكون عنوانًا للبهجة وأنا أرى العصافير تطير في مجموعات معا، وكأنها تقول: نحن أصحاب نحب بعضنا ونساعد من يريد العون ولا نقسو أبدًا.

١٣- بصوت مرتفع سألت الصغيرة: يا معلمي، هل يمكنني كتابة أكثر من ١٠ أشياء؟ فلدي المزيد والمزيد.

* * * * *

المفضل

ضاق بتكدس الأوراق بمكتبه . .

حصل على إجازة من عمله . .

تفرغ للتخلص مما لا يلزمه بمكتبه . .

ابتسم وهو يرى أوراقًا أعادته لذكريات جميلة . .

ضحك عند رؤية صور قديمة . .

غضب عندما رأى حقيبة كان يضع بها مقالات كاتبه المفضل . .

لم يكن يصبر عندئذ حتى تصدر في كتب . .

فتح الحقيبة بحنق . .

أمسك بالمقالات . .

قامت عيناه بجولة سريعة في عناوينها . .

غلبه الإحساس بالمرارة . .

راح يمزق المقالات بهدوء . .

أحس بارتياح وعذوبة أزالت غضبه الهائل، عندما اكتشف زيف كاتبه المفضل.

راح ينظر للمقالات الممزقة "برضا" جميل . .

قفز من مكانه فرحا عنما تذكر كتب هذا "المفضل" التي ما زالت تشغل حيزا بالمكتبة؛ يمكنه الاستفادة منه كما سيستفيد من الحقيبة التي احتضنت مقالاته سابقا.

* * * * *

سريعًا

هتف: يجب المسارعة بزيارة أقربائي بخاصة كبار السن.

تضاعف حماسه..

سأخصص يومًا أسبوعيًا.

فكر قليلا..

همس: أو شهريًا.

سأبدأ بمكالمات هاتفية، ولكن ليس اليوم فلدي أعمال كثيرة.

بعد أسبوع تذكر..

أحس بالذنب..

قال: سأؤجلها للغد، فأنا عنوان للإنهاك.

مرت أشهر..

تذكرهم وهو يقضي إجازته بمنتجع.. أقسم أنه سيهاتفهم فور عودته، فليس عدلا قطع الاسترخاء.

* * * * *

طمأنة

يخاف الموت . .

لا ينكر ذلك . .

يتشبث بالحياة . .

يحب أحلامه . .

فرحته المؤقتة بتحقيق حلم . .

مسارعته للركض لصنع حلم آخر . .

يموت بعض معارفه . .

يحس باقتراب الموت . .

يطمئن نفسه . .

الأطفال يموتون . .

كنت طفلا ولم تمت . .

* * * * *

تتوهم

تهتم بجمالها جيدا، ترعاه كطفلها الذي لم تلده، تعرف أنه أهم جزء من نجاحها بالحياة.

تتأنق قبل مغادرة منزلها، تراقب الحفاظ على جمالها وتأنقها خلال اليوم.. تحرص على التعامل بجدية في عملها المرموق.. تؤكد للجميع كيف "ناضلت" حتى تصل للمنصب المهم..

تستدعي براهين كثيرة لتثبت أحقيتها.. تتجاهل أن الغالبية يدركون تعطشها للإحساس بجمالها وللاعتراف بنبوغها.. يقدمون لها "ما" تحب.. ويحصلون منها على "ما" يرغبون..

تتوهم دومًا أنها وحدها صاحبة الذكاء الفريد.

* * * * *

حدث بالفعل

جمعتهما قصة حب جميلة وطويلة . .

سافر ليحول حلمهما لحقيقة . .

تحمل وجع الغربة ومشاق العمل . .

انتظرته وتحملت الفراق وسخافات التعليقات . .

عاد . .

تزوجا . .

"انتظرت" أن يعوضها عن غيابه . . "توقع" أن تذيب أوجاعه . . تجرعا الاحباطات . . حاصرهما التحريض من الأصدقاء والصديقات والأسرتين . .

رفضا، وربما لم يرغبا، في الاستماع لصوت صديق مشترك طالبهما "بنسيان" الماضي بألمه والاستمتاع بحياتهما .

افترقا . .

عادا لتنفس الوجع، "وأضافا" إليه المرارة وخيبة الأمل وفقدان الثقة بالحياة .

* * * * *

سأختار

طلب الأب من ابنه شيئًا أعطاه إياه مسبقًا . . رد الابن غاضبًا : لا أجده، قال الأب : ابحث عنه . .

تأفف الابن . .

راح يبحث بجوار الأب ويلقي بالوسائد أرضًا ليفتش تحتها . .

كاد الأب يصرخ قائلا : قاربت الأربعين وما زلت تتصرف كطفل يخاصم الأدب؟

تماسك الأب . .

قام بتمثيل اللامبالاة . .

همس لنفسه : إن كان اختار الطفل السيئ "فسأختار" العجوز الذكي . . تمادى الابن . .

بهدوء قال الأب : كن مؤدبًا ؛ فهذا أفضل لك . .

تراجع الابن . .

استرخى الأب وابتسم بعذوبة . .

* * * * *

شبع

دعاه بعض المعارف إلى لقاء يجمعه مع أصدقاء . .

رحب بتردد . .

أصغى لصوته الداخلي . .

اكتشف ضيقه من بعض الحضور . .

تأكد أنه لن يسعد باللقاء . .

حاول طرد شعوره . .

فشل .

في يوم اللقاء هاتفهم معتذرًا، فوجئ بسخف من ضاق بحضورهم اللقاء . . أحس بالانزعاج مؤقتًا . .

ثم احتفل "بنجاته" من رؤيتهم .

تأمل . .

من يراهم سيشيد بالحب والصداقة، وكيف لا يفعل وهو يرى الضحكات العالية؟

ابتسم، هم أشياء يستخدمون بعضهم هربا من الملل أو الوحدة . .

هتف : لست شيئًا . . ولن أكون .

ربت على نفسه بحب واحترام . .

أحس "بشبع" نفسي . . ودفء عاطفي . . ونور لطيف شفاف يغمره .

* * * * *

مبتسمًا

كان يكنس الشارع كعادته . .

فوجيء بقائد سيارة فارهة يناديه . .

لبى النداء . .

أعطاه الرجل علبة مياه غازية فارغة . .

أشار له بوضعها في سلة القمامة بالشارع . .

وافق مبتسما .

شاهد زميله الموقف . .

سارع بسب الرجل . .

اتهمه بالتعالي وسوء الأدب . .

صرخ : ألم يستطع الاحتفاظ بها في سيارته ، ثم يلقيها عندما يصل للجحيم الذي يستحقه؟

رد الأول مبتسمًا : سعدت لأنه لم يلقها على الأرض ، حتى لا يضطر زميل لنا للإنحناء لالتقاطها .

* * * * *

واصل

كلما نصحه أحد؛ أنصت باهتمام . . ما إن ينتهي الناصح من كلامه . . يشكره بصدق . .

ثم . .

يبذل جهدًا للناصح ـ وأحيانا لنفسه فقط ـ ليثبت خطأ النصيحة .

تراكمت النصائح المؤودة . .

مر العمر . .

لم "يرغب" بالتنبه لدفعه الأثمان الباهظة . .

واصل التجاهل . .

تنفس الخسائر . .

* * * * *

يركله

يحرص من آن لآخر بالذهاب إلى حيث خبأه . .

يتأكد دومًا أن لا أحد يعرف المكان . .

يغيره كل فترة . .

ينظر إليه بحب . .

يمد يده ليلتقطه . .

يربت عليه بحنان . .

يفتحه . .

يتنفس الرضا .

يثق أنه لم "يسع" بجدية لتحقيق كل ما دونه به . .

يجلد نفسه بقسوة أحيانا ويتسامح مرات . .

يبتسم لدفتر أحلامه . .

ترتاح دماؤه كلما حقق حلمًا . . تحتضنه خلاياه . . يشعر بقدر "جميل" من احترام النفس . . يُخمد صوتا يسعى "لسرقة" اللحظة منه . . يقول الصوت : أيها الهمام، وماذا عن باقي الأحلام؟

يركله بقدمه بارتياح ضاعف عذوبة فرحته . .

يرد بهدوء وهو "يتلذذ" بالضغط على كل حـرف : س أ ف و ز ب أ ج م ل م ا ي م ك ن ن ي و ا ل ب ا ق ي س ي ت ل ق ف ه ا غ ي ر ي و س أ ف رح ل ه ع ن د م ا ي ح ق ق ه ا وأ ن ا ع ل ى ق ي د ا ل ح ي ا ة أ و ب ع د م و ت ي .

* * * * *

أسرع بالعودة

أحس بالإرهاق "يسكن" تفاصيل حياته المزدحمة دومًا . .

هرب من كل شيء . .

أغلق هواتفه . .

غادر العاصمة . .

ذهب إلى منتجع للاستجمام . .

أدار التلفاز . .

أخذ يعبث بلا هدف بين القنوات . .

وجد فيلمًا عربيًا قديمًا . .

ترك نفسه للمشاهدة . . انتبه لحوار في الفيلم ؛ يؤكد أن الظالم والسارق حقوق الغير لا ينامان جيدًا . .

ضحك في سره . . ثم تحول ضحكه لقهقهات هيسترية .

أغلق التلفاز . .

نام بعمق . .

صحا منتعشا . .

غادر المنتجع . .

أسرع بالعودة ليواصل ظلمه وسرقاته . .

ابتهج واحتفل بذكائه الذي جعله ينجو من العقاب ويحصد أشهى الثمار .

القادمة

في سن الثلاثين، نصحه الطبيب بالتقاط أنفاسه وألا يسمح للحياة بافتراسه.

مد الطبيب يده لكوب من العصير، تناول بعضًا منه، ثم تركه وقال: افعل ذلك؛ تناول العصير مثلي، أنا أقضي ربع ساعة حتى أنتهي من تناول هذا الكوب الصغير، وأستمتع بمذاقه، وأنت "تلقيه" بجوفك ولا تتذوقه.

نظر للطبيب، وبصعوبة تماسك وسيطر على غضبه..

غادره وهو يلعن من نصحه بزيارته..

تمتم بغيظ: أخذ المحتال المال الكثير لينصحني كيف أتناول العصير.. أضاف: وكيف لا يفعل هو وزبائنه بالغي الثراء؛ ولديهم من يعتنون بهم ولا يحملون أعباءً مادية بشعة ولا تثقل كواهلهم مسؤوليات ولا ولا ولا ولا؟

ألقى بنصيحة الطبيب أرضًا وودعها ساخطًا.. أسرعت أعوامه بأكثر مما توقع.. استدعى نصيحة الطبيب من آن لآخر؛ قل غضبه وبدأ في الترحيب بها.

على أبواب الستين وجدها رائعة وذكية ومخلصة.. فكر.. تأخرت في الأخذ بها وفاتني الكثير والكثير.. ابتسم.. لا بأس، سألتزم بها في الثلاثين عاما القادمة.

* * * * *

لم تقفز

تلقت دعوة لحضور زفاف أحد شباب العائلة، فرحت له ولعروسه، كانت قد خططت لإنقاص وزنها . .

بدأته يومئذ . .

مرت أشهر . .

فازت بما رغبت . .

فرحت . .

علمت أن من حضرت زفافهما يستعدان لاستقبال أول أطفالهما . .

احتضنت الفرحة لهما . .

سمحت للانتعاش بالتوغل في دمائها . . هتفت بمرح وحيوية "افتقدتهما" بأكثر مما ينبغي: أنا أيضًا لدي "رشاقة" وليدة وأحلام عديدة وبريق "لطيف" في عيني "يوسع" ما تبقى من عمري.

لم تقفز لتحتفل كما كانت تفعل وهي صغيرة . .

"طارت" روحها في سماوات "لم" يدرك وجودها غالبية البشر.

* * * * *

فهرس المحتويات

سريعا	٤	أسرة	٥
بحب واحترام	٦	لم تهتم	٧
غل	٩	وكأنه	٩
وجع	١٠	توقن	١١
بهجة	١٢	بي وبكم	١٣
تنبه	١٥	ادمان	١٦
انتعاش	١٧	حب	١٧
حسد	١٨	هتف	١٩
سلام	٢٠	لعله	٢١
احتضان	٢٢	احتياج	٢٢
ينتظر	٢٣	الجائع	٢٤
بتلقائية	٢٥	فرصة	٢٦
ضحك	٢٨	انتظار	٢٩
وهل؟	٣٠	المدير	٣١
ربما	٣٢	ناعم وجميل	٣٣
و	٢٩	ما بقي	٣٤
مؤقتا	٣٥	بثقة	٣٦
الحافة	٣٧	اطمئنان	٣٨
كبرياء	٣٩	واختلفتا	٤١
القاع	٤٢	سلطة	٤٣
قرار	٤٤	عقابهم	٤٥
بشدة	٤٦	ولا تسمح	٤٧
اللعنة	٤٨	يكفي	٤٩
إكتفاء	٥٠	سؤال	٥١

أقل القليل	٥٢	فكر	٥٣
أولويات	٥٤	استرخاء	٥٥
الخنازير	٥٩	بقي	٦٢
كيف	٦٣	وقد	٦٤
تهديد	٦٥	مرارة	٦٦
هزائم	٦٧	حرية	٧٠
سواد	٧١	قليلا	٧٢
فقط	٧٣	خوف	٧٤
اختيار	٧٥	خداع	٧٦
رجل	٧٨	أسامة	٧٩
إمتتنان	٨٠	رحابة	٨٢
غضب	٨٣	خطابات	٨٤
يضيف	٨٥	غيظ	٨٦
رسوب	٨٧	تساؤل	٨٨
كلب	٨٩	قناع	٩٠
تحايل	٩١	حثالة	٩٣
صفقة	٩٤	لن	٩٥
اللعين	٩٦	مكاسب	٩٨
يجب أن	٩٩	براح	١٠١
وسمح . .	١٠٢	مبارزة	١٠٤
لطمة	١٠٦	بارتياح	١٠٧
كالبخيل	١٠٨	أقل	١٠٩
هوان	١١٠	بقوة	١١١
احتواء	١١٢	ضيق	١١٣
تعادل	١١٤	هروب	١١٥
السر	١١٦	بعذوبة	١١٧

منع	١١٨	اكتشاف	١١٩
توقعات	١٢٠	صفعات	١٢٢
فقط دقائق	١٢٣	الطبيب	١٢٤
البداية	١٢٥	بلا مبرر	١٢٦
انتقام	١٢٧	لنفسه	١٢٨
وغد	١٢٩	فوجيء	١٣٠
ابتلاع	١٦١	رهان	١٣٢
توتر	١٣٣	لماذا؟	١٣٤
يموت رعبا	١٣٥	الأصغر	١٣٧
يستحق	١٣٨	يكرر	١٣٩
ببطء	١٤٠	المزيد والمزيد	١٤١
المفضل	١٤٣	سريعا	١٤٤
طمأنة	١٤٥	تتوهم	١٤٦
حدث بالفعل	١٤٧	سأختار	١٤٨
شبع	١٤٩	مبتسما	١٥٠
واصل	١٨١	يركله	١٥٢
أسرع بالعودة	١٥٤	القادمة	١٥٥
لم تقفز	١٥٦	الفهرس	١٥٧